سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

تعليقاتٌ علىٰ

«الأصول الثلاثة»

الشَّيخ عبد الرزاق البدر

النُّسخة الإلكترونية الأولىٰ

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

الدرس الأول

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيّئاتِ أعمالنا، من يهدهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هَادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ..

أيُّها الإخوة الكرام..

هٰذه مذاكرةٌ حول أصولٍ ثلاثةٍ عظيمةٍ يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يعلم بهنَّ وأن يعمل بهنَّ، ولا يُذاق طعمُ الإيمان إلَّا بالعلم والعمل بهنَّ، كما قال نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»، وجاء في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ «**ذَكَرَ الْمَيِّتَ إِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ، وَأَنَّهُ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**».

فهٰذه أيُّها الإخوة أصولٌ ثلاثةٌ عظيمةٌ يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يكون علىٰ علمٍ بها، وأن يجاهد نفسه علىٰ تحقيقها والعمل بها ليسعد في دنياه وأُخراه، وليفوز برضا ربِّه ومولاه، ولينجوَ من سخطه وعقابه ومن النَّار.

وبين أيدينا جميعًا رسالةٌ قيِّمةٌ كتبها شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في تبيين هٰذه الأصول وتوضيحها وتقريرها بأدلَّتها من كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، وقد كتبها رَحِمَهُ اللَّهُ بأسلوبٍ مبسَّطٍ وألفاظٍ واضحةٍ حتىٰ تتسنَّىٰ وتتهيَّأ الاستفادة التَّامَّة من هٰذه الأصول من المبتدئين وعوامِّ المُسلمين، وسنقرأ هٰذه الأصول وأعلِّق عليها تعليقًا يسيرًا مختصرًا راجين الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن ينفعنا أجمعين، وأن يجعل ما نتعلَّمه حجَّةً لنا لا علينا، وأن يُصلح لنا شأننا كلَّه، إنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ سميعٌ مجيبٌ قريبٌ.

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

قال الإمام المُجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «الأصول الثلاثة»:

الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ..

فَاعْلَمُوا وَفَّقَكُمُ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنَّبَكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ، أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَعْرِفَةَ ثَلَاثَةَ أُصُولٍ وَالعَمَلَ بِهِنَّ.

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هٰذه الرِّسالة المُختصرة بحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله محمَّد ﷺ وعلىٰ آل بيته وصحبه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين.

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَاعْلَمُوا وَفَّقَكُمُ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنَّبَكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ)، بدأ أوَّلًا بقوله: (فَاعْلَمُوا) وهي كلمةٌ يُؤتىٰ بها بين يدي الأمور العظيمة والمهمَّة استدعاءً لانتباه الإنسان وتنبيهًا له إلىٰ أنَّ ما سيُلقىٰ عليه علمٌ عظيمٌ وأمرٌ مهمٌّ ينبغي أن يحرص علىٰ حُسن الاستفادة منه، ويأتي في القرآن في مواضع كثيرةٍ منه الإتيان بهذه اللَّفظة بين يدي الأمور العظيمة كقوله جلَّ وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:١٩]، ولهٰذا نظائر عديدةٌ في كتاب الله جلَّ وعلا.

وقوله هنا: (فَاعْلَمُوا وَفَّقَكُمُ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنَّبَكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ) هٰذه دعوةٌ عظيمةٌ جامعةٌ يدعو بها رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لعموم المسلمين، وهٰذه من طريقة النَّاصحين؛ النَّاصح يُرشدك إلىٰ الخير ويدعو لك بالخير، وهٰذا دأبه رَحِمَهُ اللَّهُ وطريقته في عموم مصنَّفاته ومؤلَّفاته.

قال: (فَاعْلَمُوا وَفَّقَكُمُ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنَّبَكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ) وهٰذه حقيقة تقوىٰ الله جلَّ وعلا أي أن يكون العبد محافظًا علىٰ فعل الأوامر الَّتي ينال بها رضىٰ الله، وأن يكون مجتنبًا ومبتعدًا عن النَّواهي الَّتي ينال الإنسان بفعلها سخط الله جلَّ وعلا.

والعبد علىٰ خيرٍ عظيمٍ ما دام حريصًا علىٰ فعل الأوامر واجتناب النَّواهي.

وقد سُئِل بعض السَّلف عن حقيقة تقوىٰ الله جلَّ وعلا فقال: (هي العمل بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وترك معصية الله علىٰ نورٍ من الله خيفة عذاب الله).

فهٰذه دعوىٰ عظيمةٌ مباركةٌ استهلَّ بها رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذه الرِّسالة قال: (فَاعْلَمُوا وَفَّقَكُمُ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنَّبَكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ)، وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفَّقَكُمُ اللهُ) هٰذا فيه التَّنبيه إلىٰ أنَّ التَّوفيق بيد الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[هود:٨٨]، فالتَّوفيق بيد الله لن يستطيع العبد فعل شيءٍ من مراضي الله ولا البُعد عن شيءٍ من مساخطه سبحانه إلَّا إذا وفَّقه الله وأعانه تَعَالَىٰ، ولهذا كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون:

لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فالتَّوفيق بيده جلَّ وعلا، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

ثمَّ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَعْرِفَةَ ثَلَاثَةَ أُصُولٍ وَالعَمَلَ بِهِنَّ.) هٰذا واجبٌ متحتِّمٌ، واجبٌ عينيٌّ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، لا يسع أحدًا جهله؛ بل يجب علىٰ كلِّ مكلَّفٍ أن يتعلَّمه، ليس هٰذا العلم الَّذي في هٰذه الورقة من العلوم الكفائيَّة الَّتي إذا تعلَّمها بعض النَّاس سقط الفرض عن الباقين؛ بل هٰذا فرض عينٍ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ؛ يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتعلَّم هٰذه الأصول؛ لأنَّه سيُسأَل عنها وسيحاسب عليها، وسيلقىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ويُسأل عن هٰذه الأصول.

ولهذا من الخير للمسلم، من الخير للإنسان أن يغنم وجوده في هٰذه الحياة الدُّنيا فيأخذ هٰذا الزَّاد العظيم المبارك الَّذي هو معرفة هٰذه الأصول الثَّلاثة والعمل بهنَّ.

وقوله هنا: (وَالعَمَلَ بِهِنَّ) تنبيهٌ إلىٰ أنَّ العلم وحده لا يكفي، العلم بهذه الأصول وحده لا يكفي؛ بل لابدَّ مع العلم بهذه الأصول العمل، **ومقصود العلم العمل**، فيتعلَّم العبد هٰذه الأصول ليجاهد نفسه في حياتها علىٰ تحقيق هٰذه الأصول وتتميمها وتكميلها علىٰ الوجه الَّذي يُرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

(الأَصْلُ الأَوَّلُ)

فِي مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ أَيُّها المُسْلِمُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وُجُودٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[آل عمران:٥١].

الأُصُول الثَّلاثة هي: معرفة العبد ربَّه ودينه ونبيَّه محمّدًا ﷺ، هٰذه الأصول الثَّلاثة الَّتي يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يعلم بهنَّ وأن يعمل بهنَّ.

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان الأصل الأوَّل وهو أعظم الأصول وأجلُّها علىٰ الإطلاق، وهو (معرفة العبد ربَّه) وخالقه وسيِّده ومولاه بأنَّه جلَّ وعلا وحده الخَالق الرَّازق المنعم المتصرِّف المدبِّر، وأنَّه المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه جلَّ وعلا.

فهٰذا أعظم الأصول وأجلُّ العلوم وأفضل المقاصد علىٰ الإطلاق، ولهذا بدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بهذا الأصل العظيم قال: ((الْأَصْلُ الأَوَّلُ) فِي مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ) يعني ما هي الأمور الَّتي تحتاجها في هٰذا المقام، في مقام تحقيق هٰذا الأصل ألا وهو معرفة الله.

قال: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ) وستكون الرِّسالة كاملةً علىٰ طريقة السُّؤال والجواب تيسيرًا للفائدة وتسهيلًا للمقصود.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ) أيُّها المسلم: (مَنْ رَبُّكَ؟) ماذا تقول؟ قال: (فَقُلْ: رَبِّيَ الله الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وُجُودٍ)، (رَبِّيَ الله الَّذِي رَبَّانِي) أي: ربَّاني بالصِّحَّة، ربَّاني بالغذاء، ربَّاني بالمال، بالمسكن، ربَّاني بالحركة والقيام والقعود، ربَّاني أعظم تربيةٍ بأن هداني إلىٰ الإسلام، وأخذني إلىٰ هٰذا الطَّريق المبارك، يسَّره لي وجعلني من أهله (الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِتِهِ) و(نعمة) هنا مفردٌ مُضافٌ إلىٰ الله ﷻ فيعمُّ؛ أي: بنعمه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣] ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم:٣٤].

قال: (فَقُلْ: رَبِّيَ الله الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وُجُودٍ) لم أكن شيئًا مذكورًا، لم يكن لي وجودٌ أصلًا، وأوجدني اللهُ من العدم ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، كلُّ واحدٍ منَّا لم يكن شيئًا فأوجده الله ﷻ من العدم، أوجده في هٰذه الحياة الدُّنيا، أمدَّه بالجسم والصِّحَّة والعافية والمال والمسكن (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ الله الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِتِهِ) والَّذي أوجدني من العدم وخلقني بعد أن لم أكن.

فإذا قيل: ما الدَّليل؟ الأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ، من هٰذه الأدلَّة قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي ﴾ الرَّبُّ هو الخالق المالك الرَّازق المدبِّر المتصرِّف، هٰذا معنىٰ الرَّبِّ الَّذي بيده تدبير الأمور وتصريف الأحوال، بيده القبض والبسط والعطاء والمنع والخفض والرَّفع، بيده الملك، بيده الخير، ﴿فَٱعْبُدُوهُ ۗ﴾ أي كما أنَّه ﷻ تفرَّد بالرُّبوبيَّة لا شريك له في الملك، ولا شريك له في الخلق، ولا شريك له في الرَّزق، لا شريك له في التَّدبير، في الإحياء، في الإماتة، في التَّصرُّف في

هٰذا الكون، كما أنَّه لا شريك له في شيءٍ من ذلك ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، أي أفردوه وحده بالعبادة، وكلُّ أمرٍ بالعبادة في القرآن فهو أمرٌ بالتَّوحيد، فمعنىٰ قوله: ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ أي: أفردوه وأخلصوا له العبادة ووحِّدوه ولا تجعلوا معه شريكًا في شيءٍ من حقوقه جلَّ وعلا، ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ أي هٰذا طريقٌ قويمٌ وسبيلٌ مباركةٌ تُفْضِي بِسَالِكِها إلىٰ جنَّات النَّعيم ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ أن يكون العبد علىٰ معرفةٍ بربِّه وخالقه، وأن يكون صارفًا العبادة كلَّها له، لا يجعل معه شريكًا في شيءٍ منها.

۞۞۞۞

وَإِذَا قِيلَ لكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُل: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ:

فَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَىٰ آيَاتِهِ هو قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[فصلت].

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَىٰ مَخْلُوقَاتِهِ هو قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَإِذَا قِيلَ لكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) أنت قلت: ربِّي الله هو الَّذي ربَّاني بنعمته، وخلقني وأوجدني من العدم، فإذا قيل لك: بأيِّ شيءٍ عرفته؟ (قل: بآياتِه ومخلوقاتِه)؛ لأنَّ آيات الله ومخلوقات الله دالَّةٌ عليه ﷻ فالصَّنعة تدلُّ علىٰ الصَّانع، والمخلوق يدلُّ علىٰ الخالق، والمبدَع يدلُّ علىٰ المبدِع، والموجَد يدلُّ علىٰ الموجِد، فهٰذه آياتٌ دالَّةٌ علىٰ مُبدِعها وخالقها ومصوِّرها، (فَقُل: بِآيَاتِه وَمَخْلُوقَاتِهِ) الكون مليءٌ بالآيات الدَّالَّة علىٰ الله جلَّ وعلا؛ بل الأمر كما قال القائل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ

الآيات الدَّالَّة علىٰ الله لا حصر لها، سماءٌ ذات أبراج، وبحارٌ ذات أمواج، وأرضٌ ذات فجاج، وجبالٌ راسياتٌ، شمسٌ وقمرٌ، ليلٌ ونهارٌ، ضياءٌ وظلامٌ، حركةٌ وسكونٌ، قيامٌ وقعودٌ، هٰذه كلُّها وُجِدت هكذا؟! ليس لها موجِدٌ! ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطور]، فهٰذه آياتٌ عظيماتٌ دالَّةٌ علىٰ كمال مُبدِعها وعظمة خالقها جلَّ وعلا.

وكُلُّ مخلوقٍ من هٰذه المخلوقات مسخَّرٌ بتسخير الله ومدبَّرٌ بتدبير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكلٌّ منها لا يتقدَّم ولا يتأخَّر عمَّا سُخِّر له، يمضي فيما سُخِّر له بحسبانٍ دون زيادةٍ ولا نقصانٍ، فالأمر أمر الله، والخَلْق خلق الله، وكلٌّ مسخَّرٌ بتسخير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، (فَقُل: عَرَفْتُهُ بِآيَاتِه وَمَخْلُوقَاتِهِ) إذا قيل لك: ما الدَّليل علىٰ ذلك؟ قال: (فَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَىٰ آيَاتِهِ فقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾) هٰذه آياتٌ من آيات الله دالَّةٌ علىٰ الخالق العظيم والمُبدِع الجليل ﷻ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[الفرقان]، فاللَّيل والنَّهار آيةٌ من آيات الله جلَّ وعلا ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[الأعراف:٥٤] أي يغطِّي اللَّيل النَّهار كما سيأتي في الآية الثَّانية، وكلٌّ ماضٍ بحسبانٍ، وماضٍ فيما سُخِّر له بدون زيادةٍ ولا نقصانٍ، اللَّيل آيةٌ من آيات الله جعله سكونًا للعباد، والنَّهار آيةٌ من آيات الله جعله الله ﷻ معاشًا للعباد، لو أصبحت حياة النَّاس كلَّها ليلًا، من يقدر أن يأتيهم بضياءٍ؟ لو جعل الله ﷻ اللَّيل سرمدًا إلىٰ يوم القيامة من يستطيع أن يأتي بضياءٍ؟

ولو جعل الله ﷻ الحياة كلَّها نهارًا بدون ليلٍ من يستطيع أن يأتيهم بليلٍ يسكنون فيه؟

فاللَّيل والنَّهار آيةٌ من آيات الله الدَّالة عليه جلَّ وعلا.

قال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أيضًا الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ

﴿ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يس]، هٰذه آيةٌ من آيات الله جلَّ وعلا: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾[الرحمٰن]، يسيران بانتظامٍ في وقتٍ محدَّدٍ، وطريقٍ محدَّدٍ، ومسارٍ محدَّدٍ، لا يتجاوزان ما سُخِّر لهما، فهٰذا أمرٌ بيد الله جلَّ وعلا.

وتأمَّل المناظرة الَّتي دارت بيْن إبراهيم الخليل وبين الَّذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة].

فهٰذه الآيات آياتٌ عظيماتٌ وحُججٌ ظاهراتٌ ودلائل بيِّناتٌ علىٰ عظمة الخالق وكمال المُبدِع جلَّ وعلا ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لا تصرفوا العبادة للمخلوقات مهما عظُمت ومهما كبُرت، لا تصرفوا شيئًا من العبادة للمخلوقات.

العبادة حقٌّ لمن؟ لخالقها ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ ولا لأيِّ مخلوقٍ آخر عظيم، العبادة ليست للمخلوقات، العبادة حقٌّ لخالقها ومُبدعِها وموجِدها وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إن كنتم تفردونه وتخصُّونه بالعبادة وتقومون بتوحيده وإخلاص الدِّين له جلَّ وعلا فأفردوه وحده بالعبادة.

قال: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ وهٰذا أصلٌ عظيمٌ، وقاعدةٌ جليلةٌ في باب التَّوحيد ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ العبادة حقٌّ للخالق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة].

قال: (وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَىٰ مَخْلُوقَاتِهِ) الدَّليل علىٰ مخلوقاته الَّتي عُرِف بها الخَالق قال: (عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)، الدَّليل علىٰ مخلوقاته (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾) أي: لا شريك له في الرُّبوبيَّة والخلق والمُلك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي تفرَّد جلَّ وعزَّ بخلق السَّموات والأرض في ستَّة أيَّام ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[ق] أي من تعبٍ أو نصبٍ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ والعرش مخلوقٌ من مخلوقات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخلوقٌ عظيمٌ هو أكبر المخلوقات وأعظمها وأوسعها، وهو سقف المخلوقات وأعلىٰ المخلوقات، وهو مخلوقٌ لله أوجده الله ﷻ ولبيان وتوضيح عظمة هٰذا المخلوق وكبره واتِّساعه، جاء عن نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث أبي ذرٍّ عندما سأل النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الكرسيِّ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَا السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ**»، لو أخذت قطعةً من الحديد صغيرةً ورميتها في الصَّحراء وأردت أن تعقد موازنةً بين الحديدة وبين الصَّحراء من حيث الحجم، كحلقةٍ من حديدٍ أُلقيت في صحراء، قال: «**وَالْكُرْسِيُّ فِي**

الْعَرْشِ مِثْلُ ذَلِكَ»، يعني شأن الكرسيِّ بالنِّسبة للعرش كحديدةٍ أُلقيت في صحراء، فالعرش مخلوقٌ عظيمٌ خلقه الله وأوجده من العدم وأخبر جلَّ وعلا في آياتٍ سبعٍ في القرآن أنَّه استوىٰ عليه جلَّ وعلا، ومعنىٰ استوىٰ أي علا وارتفع، و إذا قيل لنا: كيف استوىٰ؟ يُقال: الاستواء معلومٌ والكيف مجهولٌ والإيمان به واجبٌ والسُّؤال عنه بدعةٌ، يجب علينا أن نؤمن أنَّ ربَّنا جلَّ وعلا استوىٰ علىٰ العرش أي علا وارتفع عليه، ولا نقول: كيف؟ التَّكييف باطلٌ وحرامٌ ويجب علينا أن نؤمن بأنَّ ربَّنا مُستوٍ علىٰ العرش للآيات الواضحات والدَّلائل البيِّنات والشَّواهد القاطعات في الكتاب والسُّنَّة علىٰ ذلك، والسُّؤال عنه بدعةٌ، السُّؤال عن كيفيَّة الاستواء أو عن كيفيَّة الصِّفات بدعةٌ مُحدَثةٌ لا أصل لها في دين الله جلَّ وعلا.

ثمَّ قال: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطِّي اللَّيل النَّهار، بينما النَّاس في ضياءٍ إذْ أقدم وجاء اللَّيل فخيَّم وغطَّىٰ النَّهار، ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي سريعًا، ولهـٰذا اللَّيل بأثر النَّهار والنَّهار بأثر اللَّيل، كلٌّ منهما يتبع الآخر ويطلب الآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي سريعًا، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هـٰذه كلُّها مخلوقاتٌ مسخَّرةٌ مدبَّرةٌ ليس لها من أمرها شيءٌ، لا تسير إلَّا بتسخير الله جلَّ وعلا وتدبيره، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الخلق خلق الله لا شريك له في ذلك، ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ أي لا شريك له، وله الأمر لا شريك له، أي الأمر الكونيُّ القدريُّ، والأمر الشَّرعيُّ الدِّينيُّ، فالأمر الكونيُّ لله هو الَّذي يقضي كونًا وقدرًا بما يشاء، ويحكم بما يريد لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ، وله الأمر الشَّرعيُّ هو الَّذي يأمر جلَّ وعلا وينهىٰ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي تعالىٰ وتعاظم جلَّ وعلا ﴿رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي خالقهم ومالكهم وسيِّدهم ومولاهم.

❁❁❁❁

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللهُ؟ فَقُل: خلقني لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

وَدَلِيلُ العِبَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات].

وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩]، يَعْنِي كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ.

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللهُ؟) لم تكن شيئًا مذكورًا أوجدك ربُّك جلَّ وعلا من العدم وخلقك بعد أن لم تكن، لأيِّ شيءٍ؟ هل الإنسان خُلق باطلًا ؟! هل خُلق عبثًا؟! هل أُوجد وتُرك سدًى؟ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[القيامة]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[المؤمنون:١١٥] لم يخلق الله جلَّ وعلا هٰذه المخلوقات باطلًا أو عبثًا تنزَّه وتقدَّس عن ذلك، ولم يُخلق الإنسان للعبث واللَّهو والباطل ، إنَّما خُلق لغايةٍ، وأُوجد لمقصدٍ جليلٍ وهدفٍ نبيلٍ، (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللهُ؟) فقل: خلقني (لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.) لأجلِ هٰذا خلقني الله، لأجل هٰذا أوجدني في هٰذه الحياة، خلقني لعبادته لأكون عبدًا ذليلًا له، مُطيعًا منقادًا لأمره، لأجل هٰذا خلقني.

فإذا قيل: لك ما الدَّليل علىٰ أنَّك إنَّما خُلقت لأجل العبادة والطَّاعة؟

قال: (وَدَلِيلُ العِبَادَةِ) أي الدَّليل علىٰ أنَّني خُلقت للعبادة (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾) الدَّليل علىٰ أنَّني خُلقت لعبادة الله هٰذه الآية العظيمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ حُدِّد فيها الغاية الَّتي خُلق الإنسان لأجلها وهي عبادة الله، ما خُلق ليعبث، ليلهو، ما خُلق سدًى، لم يُخلق باطلًا، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ومعنىٰ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلَّا لآمرهم بعبادتي وتوحيدي وإخلاص الدِّين لي، هٰذا دليل العبادة.

قال: (وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾) أمر الله جلَّ وعلا بطاعته وطاعة رسوله في آياتٍ كثيرةٍ في القرآن تزيد علىٰ الثَّلاثين فيها الأمر بطاعته وطاعة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فالعبد خُلق ليعبد الله وليطيع الله جلَّ وعلا ويطيع رسوله ﷺ، ليكون منقادًا متَّبعًا ممتثلًا ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأنَّ أولي الأمر ليس لهم طاعةٌ مُطلقةٌ، لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، فطاعة أولي الأمر في حدود طاعة الله، فإذا أمر أحدٌ منهم بمعصية الله لا يطاع، لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، ولهٰذا قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ لأنَّهم ليس لهم طاعةٌ مُطلقةٌ وإنَّما لهم طاعةٌ في حدود ما أذن الله ﷻ به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إن حصل بينكم نزاعٌ أو خلافٌ في شيءٍ؛ مسألةٍ من المسائل، أمرٍ من الأمور إلىٰ من ترجعون وإلىٰ من تحتكمون؟ ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ قال رَحِمَهُ اللهُ: (يَعْنِي

كِتَابَ اللهِ وَسُنَّة نَبِيِّهِ ﷺ.) معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الرَّدُّ إلىٰ الله هو الرَّدُّ إلىٰ كتابه والرَّدُّ إلىٰ الرَّسول ﷺ هو الرَّدُّ إلىٰ سنَّته، ولا يصلح حال النَّاس ولا يستقيم أمرهم إلَّا إذا كانوا بهٰذه الصِّفة إن تنازعوا أو اختلفوا فلا يصلح حالهم إلَّا إذا كان تعويلهم ورجوعهم وردُّهم إلىٰ أمور نزاعهم إلىٰ كتاب الله وسنَّة النَّبيِّ صلوات الله وسلامه عليه.

۞۞۞۞

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: أَيُّ شَيْءٍ أَمَرَكَ اللهُ بِهِ وَنَهَاكَ عَنْهُ؟
فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ الشِّرْكِ.
وَدَلِيلُ الْأَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل].
وَدَلِيلُ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨ و١١٦]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة].

قلتَ قبل قليل: إنَّ الله جلَّ وعلا خلقني لعبادته واتِّباع أمره واجتناب نهيه، فإذا قيل لك: بأيِّ شيءٍ أمرك الله وعن أيِّ شيءٍ نهاك؟ قلتَ: إنَّ الله خلقني لأعبده، لأطيعه لأمتثل أمره لأنتهي عن نهيه.

فإذا قيل لك: بأيِّ شيءٍ أمرك الله؟ وعن أيِّ شيءٍ نهاك؟ قال: (فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ الشِّرْكِ) أي إنَّ الله ﷻ أمرني بأوامر عديدةٍ أعظمها التَّوحيد ونهاني عن أمورٍ عديدةٍ أعظمها وأخطرها الشِّرك بالله جلَّ وعلا.

فالتَّوحيد أعظم الأوامر وهو جماع الخير.

والشِّرك هو أخطر الأمور وأضرُّها على الإنسان وهو أعظم شيءٍ نهى الله ﷻ عباده عنه.

قال: (فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ الشِّرْكِ.
وَدَلِيلُ الْأَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾) والعدل ضدُّ الظُّلم، وأعدل العدل وأجلُّه توحيد الله، وأظلم الظُّلم الشِّرك بالله كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان].

فالعدل معناه أوسع من أن تعدل في تعاملك مع الإنسان؛ بل معنى العدل واسعٌ، ويجب أن يكون العبد عدلًا مع الله لا يكون ظالمًا، وأظلم الظُّلم هو الشِّرك بالله ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾[البقرة] ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ أيُّ ظلمٍ أشنع وأفضع من أن يَخلقَ الله العبد ويوجده من العدم ويمنَّ عليه بأنواع النِّعم ثمَّ يذهب العبد إلى مخلوقٍ يصرف له العبادة؟! هذا أظلم الظُّلم وأكبر الذَّنب وأعظم الجرم «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ**» في الحديث الآخر قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، هو الَّذي خلقك، هو الَّذي أوجدك، هو الَّذي ربَّاك بنعمته، فكيف يُجعل له شريكٌ؟! كيف يُجعل له ندٌّ؟ كيف يَجعل له الإنسان ندًّا وشريكًا؟! هذا أظلم الظُّلم وخروجٌ عن العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أعظم العدل التَّوحيد، وأظلم الظُّلم الشِّرك بالله ﷻ، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ هذه جملةٌ من الأوامر، وأيضًا من النَّواهي ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال: (ودليل النَّهي عن الشِّرك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾) هذه وردت في موضعين من سورة النِّساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: من مات على

الشِّرك وغادر هٰذه الدُّنيا وهو مشركٌ لا مطمع له البتَّة في مغفرة الله، ولا سبيل له مُطلقًا إلىٰ نيل رحمة الله، أمرٌ انتهىٰ وقُضي، إذا خرج من هٰذه الدُّنيا لفظ روحه لا مطمع له أبدًا في رحمة الله ولا سبيل له أبدًا لينال مغفرة الله، ما دام أنَّ الرُّوح خرجت وغادر هٰذه الدُّنيا وهو علىٰ الشِّرك أبدًا ليس له سبيلٌ لينال رحمة الله ومغفرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي إذا مات علىٰ ذلك.

يوم القيامة المشرك إذا أُدخل النَّار يتمنَّىٰ عدَّة أمورٍ ذكرها الله في القرآن، يتمنَّىٰ أن يرجع للدُّنيا مرَّةً ثانيةً يتمنَّىٰ أن يُعاد للدُّنيا مرَّةً ثانيةً من أجل ماذا؟ ليعمل صالحًا غير الَّذي كان يعمل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾[فاطر] في النَّار يقولون: يا ربِّ أخرجنا من النَّار وأعدنا إلىٰ الدُّنيا مرَّةً ثانيةً لن نشرك؛ بل سنعمل الصَّالحات، سنوحِّد، سنخلص لك العبادة ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ هل يُستجاب له؟ لا.

أيضًا يتمنَّىٰ ويرجو التَّخفيف؛ أن يُخفَّف العذاب عليه قال: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾.

يتمنَّىٰ أن يُقضىٰ عليه فيموت، قال: ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾...

فكلُّ هٰذه المطالب لا يحصل له منها شيءٌ، لا يُخفَّف عنه العذاب، ولا يُعاد للدُّنيا، ولا يُقضىٰ عليه فيموت، ليس له يوم القيامة إلَّا النَّار خالدًا فيها أبد الآباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨ و١١٦].

والآية الأخرىٰ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة] الجنَّة مُحرَّمةٌ علىٰ المشرك لا يدخلها ولا سبيل له لدخولها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف:٤٠].

﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾أي خالدًا فيها أبد الآباد ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ الظَّالمين هم المشركين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(الأَصْلُ الثَّانِي)

فِي مَعْرِفَةِ دِينِ الإِسْلَامِ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُلْ: دِينِي الإِسْلَامُ، وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ وَالإِذْعَانُ وَالانْقِيَادُ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولَهُ ﷺ.

والدَّلِيل قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران].

هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَرْكَانٍ:

الأَوَّلُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

الثَّانِي: وَإِقَامُ الصَّلَاةِ.

الثَّالِثُ: وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعُ: وَصَوْمُ رَمَضَانَ.

الْخَامِسُ: وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَالسَّبِيلُ الزَّادُ والرَّاحِلَةُ.

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: ((الأَصْلُ الثَّانِي) فِي مَعْرِفَةِ دِينِ الإِسْلَامِ) ومعرفة دين الإسلام بالأدلَّة والدَّليل قال الله قال رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟) ما الدِّين الَّذي تدين به، (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُلْ: دِينِي الإِسْلَامُ) قال: (وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ وَالإِذْعَانُ وَالانْقِيَادُ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولَهُ ﷺ) هـٰذا هو الإسلام، والإسلام معناه يتضمَّن أمرين:

- يتضمَّن معنىٰ الاستسلام الَّذي هو الانقياد والطَّاعة.
- ويتضمَّن معنىٰ السَّلامة وهو البُعد عن الشَّرك والحذر من الوقوع فيه، والاجتهاد أن تكون أعمال العبد خالصةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ وَالإِذْعَانُ وَالانْقِيَادُ إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولَهُ ﷺ.) هـٰذا هو معنىٰ المسلم، المسلم هو المخلص عبادته لله المستسلم لأمر الله، إذا قال له الله: افعل كذا أو لا تفعل كذا، ماذا يقول؟ يقول: سمعنا وأطعنا، هـٰذا هو المسلم، مستسلمٌ ومنقادٌ وممتثلٌ لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأمر رسوله ﷺ.

قال: (والدَّليلُ) علىٰ ذلك (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[آل عمران:١٩]) أي لا يرضىٰ جلَّ وعلا ولا يقبل دينًا سواه، ولهـٰذا قال في الآية الأخرىٰ: (﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران]) فالدِّين الَّذي رضيه الله ﷻ لعباده ولا يقبل منهم دينًا سواه هو الإسلام وهو: **الاستسلام لله بالتَّوحيد والانقياد له بالطَّاعة والخلوص من الشِّرك والبراءة منه ومن أهله.**

قال: (هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَرْكَانٍ:

الأَوَّلُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

الثَّانِي: وَإِقَامُ الصَّلَاةِ.
الثَّالِثُ: وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.
الرَّابِعُ: وَصَوْمُ رَمَضَانَ.
الْخَامِسُ: وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَالسَّبِيلُ الزَّادُ والرَّاحِلَةُ.) فهٰذه أركان الإسلام الخمسة كما قال نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ**» قال: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ**» ومعنىٰ هذا أنَّ هٰذه الخمس للإسلام بمثابة العماد للبناء.

وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَىٰ إِلَّا بِأَعْمِدَةٍ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ

فالإسلام يقوم علىٰ مباني، يقوم علىٰ أعمدةٍ هي هٰذه الخمسة المذكورة في هٰذا الحديث والمذكورة كذلك في حديث جبريل لمَّا قال للنَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أخبرني عن الإسلام قال: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، وسيأتي عند المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ ذكر الدَّليل لكلِّ واحدٍ من هٰذه المباني الخمسة.

فَأَمَّا دَلِيلُ الشَّهَادَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران].

هٰذا (دليل الشَّهادة) شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، والشَّهادة إذا أُطلقت فالمراد بها شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله؛ لأنَّها أعظم شهادةٍ علىٰ الإطلاق، أعظم شيءٍ تشهد به في هٰذه الحياة الدُّنيا (لا إلٰه إلَّا الله) ليس هناك شهادةٌ أعظم من هٰذه الشَّهادة، فهٰذه أعظم شهادةٍ لأعظم مشهودٍ به؛ وهو توحيد الله وإخلاص الدِّين له.

وانظر عظمة هٰذه الشَّهادة ومكانتها، قال الله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ فهٰذه الشَّهادة ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ من أعظم شاهدٍ وهو ربُّ العالمين، لأعظم مشهودٍ به وهو توحيده ﷻ، فشهد الله ﷻ لنفسه بذلك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أيضًا شهدوا، والملائكة المُراد بهم كلُّ الملائكة وهم خلقٌ لا يعلم عددهم إلَّا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١]، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ للهِ**» وذكر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في الحديث (البيت المعمور) وذكر أنَّه يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملكٍ ومن دخله لا يرجع إليه مرَّةً ثانيةً، عددٌ لا يعلمه إلَّا الله وكلُّهم يشهدون أن لا إلٰه إلَّا الله، وكلُّهم أهل طاعةٍ لا معصية عندهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم].

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ أي: أهل البصيرة بدينه وشرعه، أهل العلم به ﷻ وبدينه، ذكر الله ﷻ شهادة العلماء بتوحيده مضمومةً إلىٰ شهادته وشهادة الملائكة، وهٰذا شرفٌ للعلماء أيُّما شرفٍ وفضيلةٌ عليَّةٌ ورُتبةٌ رفيعةٌ، ولو لم يكن في فضل العلم وشرف العلماء إلَّا هٰذه الآية لكفىٰ بها دليلًا علىٰ فضلهم، وابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه «مفتاح دار السَّعادة» هو كتابٌ كبيرٌ جدًّا وواسعٌ مبنيٌّ علىٰ هٰذه الآية، كلُّه حول هذه الآية الكريمة، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ دلالة هٰذه الآية علىٰ فضيلة العلماء من وجوهٍ كثيرةٍ وتحدَّث عن مكانة العلماء وفضل العلماء من مائةٍ وخمسين وجهًا في كتابه ر«مفتاح دار السَّعادة».

فالشَّاهد أنَّ هٰذه الآية دليلٌ علىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ هٰذه الشَّهادة العظيمة شهد بها ربُّ العالمين، وشهد بها الملائكة الكرام، وشهد بها أولو العلم، فهي أعظم شهادةٍ لأعظم مشهودٍ به وهو توحيد الله جلَّ وعلا.

وَدَلِيلُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

(وَدَلِيلُ) شهادة (أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ) هو (قَوْلُ) الله (تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾) أي: لا نبيَّ بعده ولا رسول، والشَّاهد من الآية قول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رسولٌ أرسله ربُّ العالمين وبعثه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا؛ فبلَّغ الرِّسالة وأدَّىٰ الأمانة ونصح الأمَّة وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّىٰ أتاه اليقين، وما ترك خيرًا إلَّا دلَّ الأمَّة عليه ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه.

والشَّهادة بأنَّه رسول الله ﷺ تعني طاعته واتِّباع أمره والانتهاء عن نهيه وتصديق أخباره صلوات الله وسلامه عليه.

والشَّهادة بأنَّه رسول الله هي قرينة الشَّهادة بأنَّه لا إلٰه إلَّا الله، ولهٰذا لا إلٰه إلَّا الله لا تُقبل إلَّا مع محمَّدٍ رسول الله، الشَّهادتان قرينتان، بُني الإسلام علىٰ خمسٍ: شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فهي قرينةٌ للشَّهادة لله بالوحدانيَّة، ولهٰذا قال بعض العلماء: التَّوحيد نوعان:

- توحيدٌ للمرسِل بإخلاص الدِّين له.
- وتوحيدٌ للمرسَل وهو النَّبيُّ بالاتِّباع والطَّاعة والامتثال.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[النساء].

(وَدَلِيلُ الصَّلاةِ) أي أنَّها فرضٌ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾، ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هٰذا يدلُّ علىٰ الوجوب أي أنَّها واجبةٌ علىٰ المؤمنين ولازمةٌ ومتعيِّنةٌ، يجب علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يكون من أهل الصَّلاة محافظًا عليها في أوقاتها.

﴿كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ أي لها أوقاتٌ محدَّدةٌ وهي خمس صلواتٍ في اليوم واللَّيلة: الفجر ركعتان، والظُّهر أربعٌ، والعصر أربعٌ، والمغرب ثلاثٌ، والعشاء أربعٌ، ولكلِّ صلاةٍ من هٰذه الصَّلوات وقتها المحدَّد.

فيجب علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يحافظ علىٰ هٰذه الصَّلوات في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها متقرِّبًا بها إلىٰ الله ﷻ طالبًا بها رضاه كما جاء في الحديث «**وَهِيَ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ، مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

۞۞۞۞

وَدَلِيلُ الزَّكَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣].

قال: (وَدَلِيلُ الزَّكَاةِ) أي دليل الزَّكاة المفروضة زكاة المال قول الله جلَّ وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي زكاةً لأموالهم فائدتها وثمرتها ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وهٰذا فيه أنَّ الزَّكاة طُهْرَةٌ للمزكِّي وبركةٌ لماله ونماءٌ له وخيرٌ وبركةٌ عليه ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، والزَّكاة سمِّيت زكاةً لأنَّها تزكِّي صاحب المال وتزكِّي المال ويُبَارَك لصاحب المال في ماله.

بخلاف الرِّبا والعياذ بالله فإنَّه يمحق المال، الرِّبا يتوهَّم المرابي أنَّه ينمِّي ماله وهو محْقٌ للمال والبركة.

والزَّكاة يظنُّ بعض النَّاس أنَّها تنقص المال وهي زكاةٌ ونماءٌ للمال، فالله ﷻ يمحق الرِّبا ويربي الصَّدقات.

فالزَّكاة والصَّدقة بركةٌ علىٰ المال في الدُّنيا والآخرة يتصدَّق الإنسان بصدقةٍ ولو شيءٍ قليلٍ يكون بركةً لماله ويكون ذُخرًا له يوم يلقىٰ الله ﷻ.

«**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ أَخَذَهَا اللهُ ﷻ بِيَمِينِهِ وَرَبَّاهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، ثُمَّ يَجِدُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ**» تمرةٌ يجدها مثل الجبل، فالصَّدقة بركةٌ علىٰ الإنسان في ماله في صحَّته، وأيضًا هي أجرٌ وثوابٌ له يوم يلقىٰ الله.

والزَّكاة جزءٌ يسيرٌ من المال تؤخذ من شيءٍ كثيرٍ من المال ممَّا أعطاك الله ﷻ تُؤخذ من الأغنياء وتُردُّ للفقراء، الزَّكاة ليست مطلوبةً من كلِّ مسلمٍ، الزَّكاة مطلوبةٌ من المسلم الَّذي بلغ ماله النِّصاب يُؤخذ جزءٌ يسيرٌ من ماله ويردُّ للفقير تسدُّ حاجة الفقراء، يسدُّ عوزهم، يكون صاحب المال وقف مع الفقراء بدعمهم ومساندتهم، وفي الوقت نفسه يكون هٰذا المال زكاةً له، فالزكاة صدقةٌ تُؤخذ من الأغنياء وتُردُّ علىٰ الفقراء وهي مفروضةٌ، ومن لم يزكِّ ماله عذَّبه الله بماله يوم القيامة، نفس المال يعذَّب به.

إن كان المال بقرًا أو كان المال غنمًا وماشيةً أو كان المال إبلًا يُؤتىٰ بها يوم القيامة في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، ثمَّ تطؤه بأظلافها وأقدامها رائحةً وغاديةً ذاهبةً وراجعةً تطؤه بأقدامها.

وإن كان المال ذهبًا أو فضَّةً فإنَّه يُؤتىٰ بهٰذا المال ويُحمىٰ به في نار جهنَّم ويكوىٰ به جنبه وجبينه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ كما ثبت الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في الصَّحيحين وغيرهما، فإنْ لم يزكِّ ماله عُذِّب بماله يوم القيامة، وإذا زكَّىٰ ماله كان هٰذا زكاةً له وطُهرةً وبركةً في دنياه وأخراه.

وَدَلِيلُ الصَّوْمِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[البقرة:١٨٣].

(دليل الصِّيام) أي أنَّه فرضٌ واجبٌ قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ أي أوجب الله الصِّيام عليكم وافترضه عليكم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أيضًا الأمم الَّتي قبلكم فُرض عليها الصِّيام وكُتب عليها الصِّيام وكانت مأمورةً به ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ أي: لتنالوا بالصِّيام تقوىٰ الله، فهو من أعظم الأمور المعينة علىٰ تحقيق التَّقوىٰ، وهو جُنَّةٌ للصَّائم من اللَّهو والرَّفث ومن سخط الله ومن النَّار «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» كما قال ذلك نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ شَهْرٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾[البقرة:١٨٥] الآية.

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ شَهْرٌ؟) يعني مدَّة الصِّيام الَّذي افترضه الله جلَّ وعلا شهرٌ واحدٌ أو أكثر أو أقلُّ؟ إذا سُئلت قيل لك الصِّيام الَّذي افترضه الله علىٰ عباده ما مدَّته شهرٌ واحدٌ أو أزْيد أو أقلُّ؟ قل: نعم شهرٌ واحدٌ في كلِّ سنةٍ يلزم المسلم أن يصوم هٰذا الشَّهر، وهو شهر رمضان.

ما الدَّليل علىٰ ذلك؟ قل: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾[البقرة:١٨٥]) أمر الله جلَّ وعلا من شهد الشَّهر أي أدركه أن يصومه فهو شهرٌ واحدٌ افترض الله علىٰ عباده صيامه.

والمراد بصيام هٰذا الشَّهر الإمساك في نهار رمضان بدْءًا من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشَّمس في كلِّ أيَّام رمضان عن الطَّعام والشَّراب وسائر المفطِّرات.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟ فَقُلْ: فِي النَّهَارِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[البقرة:١٨٧].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ) صيام رمضان ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾[البقرة:١٨٥] (فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟) ماذا تقول؟ لأنَّ هٰذه الرِّسالة كُتبت لتنتشر بين النَّاس وفي البوادي وفي القرىٰ فقد يوجد في بعض المناطق جهلٌ بهٰذا الأمر وعدم معرفةٍ به، (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟) متىٰ وقت الصِّيام (فَقُلْ: فِي النَّهَارِ) الصِّيام في النَّهار وليس في اللَّيل، ما الدَّليل علىٰ ذلك؟ (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾) متىٰ هٰذا الأكل والشُّرب؟ هٰذا في شهر رمضان يعني ما فيه صيامٌ في هٰذا الوقت، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ الكلام علىٰ رمضان الَّذي أُمرنا بصيامه، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ متىٰ؟ أي في اللَّيل ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾، يعني في اللَّيل كلوا واشربوا ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ في اللَّيل ليس علىٰ الإنسان حرجٌ ولا إشكالٌ في الطَّعام والشَّراب والجماع -جماع الأهل- هٰذا كلُّه لا حرج فيه، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ إذا طلع الفجر يجب الإمساك إلىٰ اللَّيل ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ فهٰذا وقت الصِّيام في شهر رمضان من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشَّمس.

وَدَلِيلُ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[آل عمران].

(وَدَلِيلُ الحَجِّ) أي: الدَّليل علىٰ أنَّ الحجَّ ركنٌ من أركان الإسلام وأنَّه فريضةٌ افترضه الله ﷻ علىٰ العباد قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ ﴾ هٰذا دليلٌ علىٰ الوجوب أنَّ الله ﷻ أوجب علىٰ عباده حجَّ بيته الحرام، والحجُّ فريضةٌ علىٰ المستطيع، والاستطاعة كما سبق عند المصنِّف الزَّاد والرَّاحلة وكذلك وجود المحرم بالنِّسبة للمرأة؛ لأنَّه لا يجوز للمرأة أن تسافر مع غير ذي محرم، والمرأة الَّتي لا محرم لها ليس الحجُّ واجبًا عليها؛ لأنَّه لا يحلُّ لها أن تسافر إلَّا مع ذي محرم، والله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ ﴾ والمرأة الَّتي لا محرم لها غير مستطيعةٍ لأنَّه يحرم عليها أن تسافر مع غير ذي محرمٍ ولو كانت كبيرةً ولو كانت برفقة النِّساء، لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مع غير ذي محرم، حرامٌ عليها ما دامت تؤمن بالله جلَّ وعلا واليوم الآخر.

فالحجُّ فريضةٌ واجبةٌ متعيِّنةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ في العمر كلِّه مرَّةً واحدةً، الحجُّ مرَّةً وما زاد فهو تطوُّعٌ. أمَّا الحجُّ الَّذي هو فرضٌ واجبٌ متعيِّنٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ مرَّةً واحدةً في العمر، **وهو قصد مكَّة المكرَّمة بيت الله الحرام لأعمالٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ.**

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الإِيمَان؟
فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلُّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.
والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]،
وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].

ثمَّ ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الإيمان لأنَّ الإسلام يتكوَّن من مراتب ثلاثٍ وهي:
الإسلام وسبق بيان أركانه عند المصنِّف.
والإيمان وأركانه ستَّةٌ يأتي بيانها هنا.
والإحسان وهو الرُّكن الثَّالث وله ركنٌ واحدٌ يأتي بيانه عند المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.
قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الإِيمَان؟ فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلُّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.
والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]،
وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].) لعلَّنا نؤجِّل الكلام علىٰ أصول الإيمان وبقيَّة هٰذه الرِّسالة المباركة سائلين الله ﷻ لنا أجمعين التَّوفيق والسَّداد والعون علىٰ كلِّ خيرٍ، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، وأن يمنَّ علينا بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأنصح جميع الإخوة الكرام أن يعتنوا بهٰذه الورقة وأن يحرصوا علىٰ نشرها وأن يُصوَّر منها في البلاد وفي المناطق وأن تُوزَّع وأن تُنشر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ﴾[المائدة:٢] وأعظم البرِّ أن تدلَّ إخوانك المسلمين وأخواتك المؤمنات وقرابتك وجيرانك إلىٰ هٰذه الأصول العظيمة الَّتي كلُّ واحدٍ منَّا سيُسأل عنها إذا أُدخل القبر.
نسأل الله جلَّ وعلا أن يثبِّتنا أجمعين بالقول الثَّابت وأن يصلح لنا شأننا كلَّه وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.
والله تعالىٰ أعلم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

[الأسئلة]

سؤال (١): ما الفرق بين آياته ومخلوقاته؟

الجواب: آيات الله جلَّ وعلا هي دلائل وبراهينٌ وهي من جملة المخلوقات، قد مرَّ معنا قول القائل:

وَفِــي كُــلِّ شَــيْءٍ لَــهُ آيَــةٌ تَــدُلُّ عَلَــىٰ أَنَّــهُ الْوَاحِــدُ

لٰكنَّ معنىٰ الآيات باعتبارٍ آخر أوسع لأنَّ آيات الله جلَّ وعلا يتناول الآيات المشهودة المخلوقة الَّتي هي اللَّيل والنَّهار والشَّمس والقمر ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[فصلت:٣٧] فهٰذه آياتٌ مخلوقةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويشمل أيضًا آياته المتلوَّة الَّتي هي كلامه وكلام الله غير مخلوقٍ، وهو من آيات الله الدَّالَّة علىٰ الله ﷻ.

سؤال (٢): إذا أشرك المسلم بشيءٍ هل يستطيع أن يتوب قبل موته؟

الجواب: الله جلَّ وعلا قال في سورة الزُّمر: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ قوله تعالىٰ: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ هل يدخل فيه الشِّرك أو لا يدخل؟ ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ وكيف نوفِّق بين هٰذه الآية وبين قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء:٤٨ و١١٦]، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي إذا مات علىٰ ذلك وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ أي ممَّن تاب من ذلك، ما الدَّليل؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ أي في حقِّ من تاب؛ لأنَّ الله قال قبلها: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾، ومعنىٰ ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ أي توبوا إلىٰ الله، مهما عظُم ذنبك لا تقنط، مهما كبُر لا تقنط؛ لأنَّ الله ﷻ لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره، مهما عظُم الذَّنب، ومهما كبُر الجرم لا تقنط تُب إلىٰ الله يتب عليه، الشِّرك الإلحاد أيُّ ذنبٍ، من تابَ تاب الله عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ أي بما فيها الشِّرك في حقِّ من تاب من ذلك، فالتَّوبة كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تهدم ما كان قبلها، من تابَ تاب الله عليه، والتَّوبة لها شروطٌ معلومةٌ لابدَّ من تحقيقها، ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[التحريم:٦٦] لا تكون التَّوبة نصوحًا إلَّا بشروطٍ ثلاثةٍ:

أن يقلع عن الذَّنب فورًا.

وأن يعزم أن لا يعود إليه.

وأن يندم علىٰ فعله.

هٰذه شروطٌ لابدَّ أن تكون في الإنسان لتكون توبته مقبولةً، يندم علىٰ الذَّنب الَّذي فعله، ويقلع عنه، ويعزم يعقد النيَّة أن لا يعود إلىٰ هٰذا الذَّنب مرَّةً ثانيةً.

وإذا كان الذَّنب يتعلَّق بحقوق الآدميِّين: أموالٌ أو نحو ذلك لابدَّ من إعادة الحقَّ لأهله.

سؤال (٠٣): هل يجوز إخراج الزَّكاة لشخصٍ أو إعطاء الزَّكاة لشخصٍ دون أن يخبره بأنَّها زكاةٌ، ربَّما لم يأخذها؟

الجواب: المهمُّ أن يكون مستحقًّا، فتأكَّد أنَّه من أهل الزَّكاة، فإذا تأكَّدت من ذلك لا ضرورة أن تقول:

هٰذا من مال الزَّكاة؛ لٰكن لابدَّ أن تكون علىٰ علمٍ ومتأكِّدًا من أهل الزَّكاة.

سؤال (٠٤): كثيرٌ من النَّاس عندما نقول له: إنَّ الله مُستوٍ علىٰ عرشه يقول لك: أين كان قبل أن يخلق العرش؟

الجواب: قل له قال النَّبيُّ ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»، فالله جلَّ وعلا كان ولم يكن شيءٌ قبله وخلق جلَّ وعلا العرش واستوىٰ عليه استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته، وأعظم المحرَّمات وأشدُّها علىٰ الإطلاق أن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦] فالقول علىٰ الله جلَّ علا بلا علمٍ هٰذا أكبر المحرَّمات وأعظمها، ولهٰذا بالقول علىٰ الله بلا علمٍ وُجِد الشِّرك ووُجِد الكفر ووُجِد الإلحاد ووُجدت الزَّندقة ووُجِد كلُّ بلاءٍ وشرٍّ، فيجب علىٰ الإنسان أن يحذر من أن يقول علىٰ الله أو في دين الله بلا علمٍ.

والعلم هو قال الله قال رسوله لا أن يخوض الإنسان بفكره المجرَّد أو عقله القاصر، ويبدأ يخوض في الله أو في أسمائه وصفاته بعقله وفكره، هٰذا ضلالٌ إيَّاك أن تقول في الله أو في دينه إلَّا بالدَّليل قال الله قال رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، أين كان الله قبل العرش؟ الجواب قال ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**» تأتي بالأحاديث وبكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وفي ذلك العصمة والأمنة من الخطأ والزَّلل والسَّلامة من القول علىٰ الله بلا علمٍ ومن القُفُوِّ لما ليس لك به علمٌ، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

نسأل الله لنا أجمعين التَّوفيق والسَّداد، والله أعلم وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

الدرس الثاني

قال الإمام المُجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في «الأصول الثلاثة»:

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الإيمَان؟ فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]، وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبة للمتَّقين، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد..

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الإيمَان؟) الإيمان كما تقدَّم معنا هو المرتبة الثَّانية من مراتب الدِّين الَّتي مرَّ أنَّها أتت مجتمعةً في حديث جبريل المشهور، ولمَّا سأل جبريلُ النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» فالإيمان له شعبٌ كثيرةٌ وأجزاءٌ عديدةٌ، كما قال نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ**» الإيمان له شعبٌ كثيرةٌ جدًّا؛ لٰكنَّ هٰذه الشُّعب لابدَّ أن تقوم علىٰ أصولٍ وأركانٍ عليها قيام الإيمان.

وقد دلَّت النُّصوص أنَّ الإيمان يقوم علىٰ أركانٍ ستَّةٍ تُسمَّىٰ أركان الإيمان وتُسمَّىٰ أصول الإيمان، لا قيام للإيمان إلَّا عليها، وهي أصولٌ مترابطةٌ متلازمةٌ لا ينفكُّ بعضها عن بعضٍ، الإيمان ببعضها يستلزم الإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفرٌ بباقيها، فهي أصولٌ مترابطةٌ لابدَّ منها جميعًا ليكون قيام الإيمان قيامًا صحيحًا وليكون بناؤه بناءً صحيحًا.

وهٰذه الأصول جاءت مجتمعةً في مواضع من القرآن كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧] وقول الله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة] وقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء].

وجاء ذكر هٰذه الأصول مجتمعةً في حديث جبريل قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، والإيمان لا قيام له إلَّا علىٰ هٰذه الأصول، ومن كفر بشيءٍ من

هٰذه الأصول فإنَّ أعماله كلَّها تكون حابطةً وباطلةً كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[المائدة: ٥] ولهٰذا قال أهل العلم عن هٰذه الأصول أنَّها تُصحِّح الإيمان بمعنىٰ أنَّ الإيمان لا يصحُّ إلَّا إذا قام علىٰ هٰذه الأصول، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[الإسراء]، وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[النحل:٩٧] فالأعمال والطَّاعات والعبادات لا تنفع إلَّا إذا كانت قائمةً علىٰ هٰذه الأصول مرتكزةً علىٰ هٰذه الدَّعائم.

قال: (فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ) يعني إذا قيل لك: ما الإيمان؟ (فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)وهٰذا هو الأصل الأوَّل من أصول الإيمان وهو أعظم أصول الإيمان وأجلُّها علىٰ الإطلاق وهو أصل أصول الإيمان، وبقيَّة أصول الإيمان تبعٌ لهٰذا الأصل وراجعةٌ إليه، فهو أعظم الأصول وأجلُّها.

والإيمان بالله هو الإيمان بوحدانيَّة الله في ربوبيَّته وفي أسمائه وصفاته وفي ألوهيَّته، ولهٰذا قال العلماء رحمهم الله: الإيمان بالله أركانه ثلاثةٌ:

الرُّكن الأول: الإيمان بوحدانيَّة الله في ربوبيَّته؛ بأن تعتقد بأنَّه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المالك الخالق الرَّازق المُنعم المتصرِّف لا شريك له.

والرُّكن الثَّاني: الإيمان بوحدانيَّته في أسمائه وصفاته، وهو أن تثبت له جلَّ وعلا الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العلىٰ الثَّابتة في كتابه جلَّ وعلا وفي سنَّة رسوله ﷺ دون أن تجحد شيئًا منها ودون أن تحرِّف شيئًا منها، ودون أن تمثِّل شيئًا منها بصفات المخلوقين، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١] وقال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص].

والرُّكن الثَّالث: الإيمان بوحدانيَّة الله في ألوهيَّته، وذلك بالإيمان بأنَّه المعبود بحقٍّ، ولا معبود بحقٍّ سواه، وأن تُفرِده وحده جلَّ وعلا بأنواع العبادة ولا تجعل معه شريكًا فيها ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن]، هٰذا الرُّكن الأوَّل.

الرُّكن الثَّاني من أركان الإيمان، **الإيمان بالملائكة**، والملائكة خلقٌ من خلق الله وجندٌ من جنوده، خلقهم الله ﷻ من نورٍ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد جاء في القرآن والسنَّة ذكر أوصافٍ للملائكة، وذكر أعدادٍ للملائكة، وذكر أعمالٍ للملائكة، وذكر أسماءٍ للملائكة، فنؤمن بكلِّ ما جاء في القرآن والسنَّة عن الملائكة، من أسماءٍ أو أعدادٍ أو أوصافٍ أو وظائف إجمالًا فيما أُجمل وتفصيلًا فيما فُصِّل، فالإيمان بهم ركنٌ من أركان الإيمان وأصلٌ من أصول الدِّين، وهم خلقٌ لا يعلم عددهم إلَّا الَّذي خلقهم ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١] وهم خلقٌ لا يعصي الله، ليس عند الملائكة شيءٌ اسمه معصيةٌ، كلُّ أعمالهم طاعةٌ، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم] قائمون بأوامره جلَّ وعلا أتمَّ قيامٍ لا يعصون الله ﷻ في شيءٍ ممَّا يأمرهم به، وهم يؤمنون بالله،

ويسبِّحون الله ويقدِّسونه، ويطيعونه ﷻ، ويمتثلون أوامره، وكلٌّ منهم مُوكَّلٌ بعملٍ ومهمَّةٍ، وكلٌّ قائم بعمله كما أمره الله به، فكلُّ ما جاء في القرآن والسُّنَّة عن الملائكة نؤمن به فإنَّ الإيمان بهم ركنٌ من أركان الإيمان وأصلٌ من أصول الدِّين.

الرُّكن الثَّالث من أركان الإيمان، **الإيمان بالكتب** المنزَّلة من الله جلَّ وعلا على رسله الكرام، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[الشورى:١٥] أي: بأيِّ كتابٍ أنزله على أيِّ رسولٍ، والله ﷻ أنزل كتبه على صفوة خلقه وخيارهم وهم رسله الكرام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الحديد:٢٥]، فالله ﷻ أنزل الكتب على الرُّسل وجعل في الكتب هدايةً الخلق وبيانًا الحقِّ والدَّعوة إلى الله، وذِكر تفاصيل أمره ونهيه، وصفة عبادته، وبلَّغ الرُّسل كلُّهم ما أوحي إليهم أتمَّ بلاغٍ، ودعوا أُممهم إلى ما أمرهم الله ﷻ أن يدعوهم إليه، بلَّغوا وحي الله وتنزيله على التَّمام والكمال.

ونؤمن بأنَّ الكتب فيها هداية النَّاس، وأنَّ من آمن بها هُدِي إلى صراطٍ مستقيمٍ، ومن حاد عنها وزاغ عن سبيلها فهو من الخاسرين.

ونؤمن بأنَّ الكتب خُتِمَت بالقرآن، فبه خُتِمت الكتب المُنزَّلة، وهو كتابٌ مصدِّقٌ لما بين يديه، ومهيمنٌ على الكتب السَّابقة، وناسخٌ للكتب الّتي قبله. والواجب الإيمان بهٰذا القرآن والتَّصديق بأخباره، وفعل ما فيه من الأوامر وترك ما فيه من النَّواهي، وتلاوته حقَّ تلاوته ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[البقرة:١٢١].

والرُّكن الرَّابع من أركان الإيمان هو **الإيمان بالرُّسل** والرُّسل هم صفوة العباد وخير النَّاس اصطفاهم الله جلَّ وعلا واجتباهم وجعلهم رُسلًا مُبشِّرين ومُنذرين وداعين إلى الله وإلى توحيده وإلى صراطه المستقيم، فبلَّغوا البلاغ المبين ونصحوا أممهم وما تركوا خيرًا إلَّا دلُّوا أممهم عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّروهم منه، وهم متفاضلون ليسوا في الفضل على رتبةٍ واحدةٍ ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[الإسراء:٥٥] وأفضل الأنبياء الرُّسل.

وأفضل الرُّسل أولي العزم منهم وهم خمسةٌ إبراهيم ونوحٌ وموسى وعيسى ومحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِم وَسَلَّمَ أجمعين.

وأفضل أولي العزم محمَّدٌ ﷺ وهو أفضل العالمين وسيِّد ولد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، وهو خاتم النبيِّين فلا نبيَّ بعده ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠] ختم الله ﷻ به النُّبوَّات.

ونؤمن بأنَّه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بلَّغ البلاغ المبين وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّى أتاه اليقين، وأتمَّ الله ﷻ به الدِّين وأكمل به النِّعمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

الرُّكن الخامس من أركان الإيمان: **الإيمان باليوم الآخر**، والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلِّ ما

يكون بعد الموت، ومن مات قامت قيامته وبدأت في حقِّه مراحل اليوم الآخر، فكلُّ ما يكون بعد الموت بدءًا من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وما يلي ذلك من أمورٍ وأحوالٍ وأهوالٍ، الإيمان بذلك كلُّه من الإيمان باليوم الآخر، مثل الإيمان بالبعث والنُّشور والحشر والصِّراط والميزان والجنَّة والنَّار وغير ذلك من التَّفاصيل الكثيرة عن ذلك اليوم الواردة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنَّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فالإيمان بذلك كلُّه من الإيمان باليوم الآخر وهو أصلٌ من أصول الإيمان وركنٌ من أركان الدِّين.

والرُّكن السَّادس من أركان الإيمان: **الإيمان بالقدر**، والقدر: قدرة الله جلَّ وعلا، بأن نؤمن أنَّ الله ﷻ أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عددًا، وأنَّه كتب مقادير الخلائق في اللَّوح المحفوظ، وأنَّ الأمور كلُّها بمشيئته، وأنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الخالق لكلِّ شيءٍ، هٰذه حقيقة الإيمان بالقدر، وهو يقوم علىٰ أربع مراتب لا يكون مؤمنًا بالقدر من لا يؤمن بها:

الأولىٰ: الإيمان بعلم الله ﷻ الشَّامل الواسع المحيط ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، وأنَّه جلَّ وعلا عَلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

والثَّانية: الإيمان بأن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللَّوح المحفوظ قبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنةٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحجّ]، وصحَّ في الحديث عن نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ**».

والمرتبة الثَّالثة: الإيمان بمشيئة الله النَّافذة وقدرته الشَّاملة وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الملك ملك الله، ولا يقع فيه شيءٌ إلَّا بمشيئته وأنَّه ﷻ يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾[آل عمران]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[البقرة].

والمرتبة الرَّابعة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بأنَّه ﷻ خالق كلِّ شيءٍ، خالق الذَّوات، وخالق الأفعال والحركات والسَّكنات، قال الله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرَّعد:١٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصَّافَّات]، فالله ﷻ هو خالق الخلق لا خالق إلَّا هو ولا ربَّ سواه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الطُّور]، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[فاطر:٣]، فالله جلَّ وعلا هو الخالق هو الرَّازق هو المنعم هو المتصرِّف.

فهٰذه مراتب أربعةٌ للإيمان بالقدر: العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد، ولا يكون مؤمنًا بالقدر من لم يؤمن بهٰذه المراتب، والإيمان بالقدر نظام التَّوحيد كما قال ذلك ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: (الإيمان بالقدر نظام التَّوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه)، أي أنَّ المكذِّب بالقدر كافرٌ بالله جلَّ وعلا لا يقبل الله منه عملًا ولا يقبل الله منه طاعةً، لو أنفق مثل جبل أحدٍ ذهبًا ما تقبَّل الله منه إلَّا إذا كان يؤمن بالقدر.

ثمَّ إذا آمن العبد بأنَّ الأمور كلَّها بقدر الله، فإنَّ عليه أن يجاهد نفسه مجاهدةً تامَّةً على فعل طاعة الله، فعل الطَّاعات واجتناب النَّواهي، وأن يطلب مدَّه وعونه وتوفيقه وتثبيته وتسديده من الله؛ لأنَّ الأمر بيد الله ولهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» ولمَّا قال الصَّحابة للنَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أنعمل في أمرٍ قُدِّر وقُضي أو في أمرٍ مُستأنفٍ؟ قال: «**بَلْ فِي أَمْرٍ قُدِّرَ وَقُضِيَ**»، قالوا: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ يَسَّرَهُ اللهُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ يَسَّرَهُ اللهُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، وتلا قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[اللَّيل]، وهٰذا يفيد أنَّ الواجب على المسلم أن يجتهد وأن يبذل وسعه في فعل الصَّالحات واجتناب المحرَّمات، ويطلب من الله العون والتَّوفيق والسَّداد: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير].

لمَّا ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هٰذه الأركان السِّتَّة للإيمان بالقدر ذكر دليلها من القرآن، قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة]،) وقوله: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فيه الإيمان باليوم الآخر.

وهٰذه الآية مع الآية الَّتي تليها قد خُتمت بهما سورة البقرة، يُستحبُّ للمسلم أن يقرأهما كلَّ ليلةٍ كما صحَّ بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَفَتَاهُ**»، أي تكفيانه من كلِّ سوءٍ وشرٍّ، وفي قراءة المسلم لهاتين الآيتين كلَّ ليلةٍ من الفائدة استحضار أصول الإيمان، فالمسلم في قراءته لهاتين الآيتين كلَّ ليلةٍ يستحضر ويستذكر أصول الإيمان ويجدِّد إيمانه، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**».

يحتاج العبد بين وقتٍ وآخر أن يُجدِّد الإيمان في قلبه حتَّىٰ يقوىٰ الإيمان؛ لأنَّ الإيمان يزيد وينقص ويقوىٰ ويضعف ولزيادته أسبابٌ ولنقصانه أسبابٌ.

قال: (وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر]) فهٰذا دليلٌ على أنَّ الأمور كلَّها بقدر الله، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّىٰ الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**» رواه مسلمٌ، وجاء في الأثر عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ وَضْعُكَ كَفَّكَ عَلَىٰ ذَقِنِكَ هٰكَذَا بِقَدَرٍ**»، فالأمور كلُّها بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخلق خلق الله والملك ملكه سبحانه، ولا يمكن أن يقع في ملك الله جلَّ وعلا إلَّا ما قدَّره وكتبه وقضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْإِحْسَانُ؟
فَقُلْ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النَّحل].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ فَقُلْ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) الإحسان أعلىٰ مراتب الدِّين وأرفع درجاته وأعلىٰ منازله، والإحسان هو الإتقان والإجادة، والمُحسِن من عباد الله هو الَّذي جاهد نفسه في طاعة الله وحَسُن إقباله علىٰ الله وجدَّ واجتهد في نيل رضاه سبحانه وابتعد عن كلِّ ما يُسخِط الله جلَّ وعلا وترقَّىٰ في منازل العبادة ورُتَبِ الدِّين إلىٰ أن بلغ المبلغ العليَّ والدَّرجة الرَّفيعة، وأصبح شأنه في قربه من الله وتقرُّبه إلىٰ الله وحسن عبادته لله أن يعبد الله كأنَّه يرىٰ الله، يقوم بعبادته لله ويؤدِّي الطَّاعة كأنَّه يرىٰ الله جلَّ وعلا، ولهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، وهٰذه درجةٌ عليَّةٌ ومنزلةٌ شريفةٌ ومنزلةٌ منيفةٌ رفيعةٌ، لا يصل إليها إلَّا من أكرمه الله ووفَّقه وجعله من أهل هٰذه الرُّتبة العليَّة، وهي تُنال بالمجاهدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت]، بالمجاهدة وطلب العون من الله ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود:٨٨].

ثمَّ ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ الدَّليل علىٰ هٰذه المرتبة قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النَّحل])، ﴿ٱتَّقَواْ﴾ أي: المحرَّمات باجتنابها والبعد عنها وعدم مقارفتها والتَّوبة إلىٰ الله ﷻ عند الوقوع في شيءٍ منها، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي في طاعتهم لله وتقرُّبهم إليه ﷻ ومجاهدتهم لأنفسهم لبلوغ الرُّتب العليَّة في الدِّين والإيمان، والمعيَّة هنا ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ معيَّةٌ خاصَّةٌ تقتضي الحفظ والنَّصر والعون والتَّأييد والكفاية.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُنْكِرُ الْبَعْثِ كَافِرٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[التَّغابن].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُنْكِرُ الْبَعْثِ كَافِرٌ؟) أي الَّذي يُنكر أنَّ النَّاس يُبعثون ويقومون لربِّ العالمين وأنَّه يحاسب العباد ويجازيهم، إذا قيل لك: هل من ينكر ذلك كافرٌ؟ (فَقُلْ: نَعَمْ) نعم هو كافرٌ، وإذا مات علىٰ ذلك يكون في النَّار ويخلِّده الله ﷻ فيها أبد الآباد.

وإذا قيل لك: ما الدَّليل علىٰ أنَّ منكر البعث كافرٌ؟ قل: قال الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[التَّغابن]، فالخلق يُبعثون ويقومون لربِّ العالمين.

والله ﷻ يجمع الأوَّلين والآخرين علىٰ صعيدٍ واحدٍ كلُّهم يُجمَع من مات ودُفِن، من أكلته السِّباع، من احترق وذرَت جسمَه الرِّياحُ، الكلُّ يُجمَع، يَجمع الله ﷻ الأوَّلين والآخرين ويجازيهم ويحاسبهم، يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾[الزَّلزلة]، فالبعث حقٌّ والقيام بين يدي ربِّ العالمين حقٌّ والحساب حقٌّ والجنَّة حقٌّ والنَّار حقٌّ، ومن ينكر ذلك فهو كافرٌ بالله، وإن مات علىٰ ذلك يُدخله الله جلَّ وعلا نار جهنَّم ويُخلَّد فيها أبد الآباد ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾[فاطر].

(الأَصْلُ الثَّالِثُ)

فِي مَعْرِفَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ:

إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ نَبِيُّكَ؟

فَقُلْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ كِنَانَةَ، وَكِنَانَةُ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ نُوحٍ، وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[آل عمران].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (الْأَصْلُ الثَّالِثُ) من أصول الإيمان (فِي مَعْرِفَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ) فمعرفة النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أصلٌ من أصول الإيمان، وسيُسأل النَّاس في قبورهم عن هٰذا الأصل، يُقال: من ربُّك وما دينك ومن نبيُّك؟

فمعرفته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أصلٌ من أصول الإيمان، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رسول الله وخير عباد الله وسيِّد ولد آدم أجمعين، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خاتم النَّبيِّين، فلا نبيَّ بعده ولا رسول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قد بلَّغ ما أمره الله ﷻ به أتمَّ بلاغٍ وأدَّىٰ الرِّسالة أتمَّ تأديةٍ، وما ترك خيرًا إلَّا دلَّ أمَّته عليه ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه صلوات الله وسلامه عليه وجاهد في الله حقَّ جهاده، حتَّىٰ أتاه اليقين وترك أمَّته علىٰ المحجَّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلَّا هالكٌ.

فالإيمان به عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ والرِّضا به ﷺ رسولًا أصلٌ من أصول الإيمان وأساسٌ من أُسس الدِّين، وسيُسأل النَّاس عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وإذا قام النَّاس يوم القيامة بين يدي ربِّ العالمين يُقال لهم: ماذا كنتم تعبدون؟ ويُقال لهم: ماذا أجبتهم المرسلين؟ فالنَّاس يُسألون عن اتِّباع المرسلين ولهٰذا لابدَّ من معرفة الرَّسول ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[المؤمنون]، لابدَّ من معرفة الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

معرفة الرَّسول أساسٌ في الهداية وعدم معرفة الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أساسٌ في الضَّلال، الهداية لا تُعرف إلَّا من طريق الرُّسل، ومن لم يعرف الرُّسل لا يعرف الهداية، الهداية لا تُعرف إلَّا من طريق الرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه، ولهٰذا من أصول الإيمان معرفة النَّبيِّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قال: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَقُلْ: مُحَمَّدٌ) ﷺ أي قل: نبيِّي هو محمَّدٌ ﷺ، وهو النَّبيُّ المصطفىٰ والرَّسول المجتبىٰ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، الَّذي ختم الله جلَّ وعلا به الرِّسالات، وإنَّ من نعمة الله علينا أن شرَّفنا بأن جعلنا من أمَّته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ومن أتباعه ﷺ، فهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أفضل

الأنبياء وأمَّته أفضل الأمم، قد قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ**»، **الآخِرون** في ترتيب النَّاس والأمم، أمَّته آخر الأمم في الحياة الدُّنيا، **والأوَّلون** أي يوم القيامة، فهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أفضل الأنبياء وأمَّته ﷺ أفضل الأمم، وكرَّمه الله جلَّ وعلا وأمَّته بخصائص وميِّزاتٍ لم تكن لأحدٍ من الأمم قبله وقبل أمَّته صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (فَقُلْ: مُحَمَّدٌ) ﷺ، ثمَّ ذكر نسبه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قال: (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ كِنَانَةَ، وَكِنَانَةُ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ نُوحٍ، وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)، ذكر شيئًا من نسب النَّبيِّ الكريم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ نسبه أشرف الأنساب وأفضلها، والله ﷻ اصطفاه واجتباه في أشرف الأنساب وأعلاها.

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فقال: (وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)، آدم هو أبو البشر وقد خلقه الله ﷻ من تراب، والدَّليل علىٰ ذلك قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[آل عمران]، أي خلق آدم من تراب والله ﷻ إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس]، فآدم عبدٌ لله خلقه من ترابٍ، وذريَّته كلُّهم عبادٌ لله.

ادَّعىٰ النَّصارىٰ أنَّ عيسىٰ ابنٌ لله وأنَّه يستحقُّ العبادة مثل الله وعبدوه مع الله، فقال الله جلَّ وعلا في إبطال عقيدة النَّصارىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾، أي أنَّه عبدٌ، والعبد لا يُعبَد، العبادة حقٌّ لله وحده، العباد كلُّهم ليس أحدٌ منهم يستحقُّ العبادة، الأنبياء والملائكة عبادٌ مكرمون والأولياء وغيرهم، كلُّهم عبادٌ لله، والعبد لا يُعبَد، لا يُصرف له شيءٌ من حقوق الله، ولا يُصرف له شيءٌ من خصائص الله، ومن صرف شيئًا من حقوق الله أو خصائصه لعبدٍ من عباده يكون بذلك مشركًا كافرًا بالله ﷻ لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟

فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النِّساء:١٦٣].

ثمَّ قال: (إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟) أي الَّذين بعثهم الله ﷻ إلىٰ أهل الأرض، من أوَّل رسولٍ بعثه الله جلَّ وعلا لأهل الأرض للنَّاس في الأرض؟ (فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ) عليه السَّلام، (وَالدَّلِيلُ) علىٰ ذلك (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النِّساء:١٦٣])، فهو أوَّل رسولٍ ثمَّ توالت بعده الرُّسل إلىٰ أن خُتِموا بمحمَّد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فأوَّلهم نوحٌ، أوَّل الرُّسل نوحٌ، ولهٰذا في حديث الشَّفاعة الطَّويل يقول النَّاس لنوحٍ عليه السَّلام لمَّا يطلبون منه الشَّفاعة: أنت أوَّل رسولٍ أرسله الله إلىٰ أهل الأرض، فيعتذر عن الشَّفاعة عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قال: (فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ)، (آخِرُهُمْ) أي خاتم النَّبيِّين كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وجاء عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في الحديث الصَّحيح قال: «**وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، وأخبر أنَّه يخرج في أمَّته كذَّابون ثلاثون كلُّهم يدَّعي أنَّه نبيٌّ، قال: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي**».

وفي زمنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ادَّعىٰ مسيلمة الكذَّاب أنَّه نبيٌّ وأخذ يأتي بأشياء يزعم أنَّها وحيٌ، وادَّعىٰ أنَّه يوحىٰ إليه وصار يُرَكِّب كلامًا ويصُفُّ جُملًا ويسجع سجع كهَّانٍ، ويقول: هٰذا وحي الله أوحاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إليَّ.

وكان مرَّةً لقيَه عمرو بن العاص قيل: قبل أن يُسلم عمرو، لقيه عمرو بن العاص فسأله مسيلمة فقال: ماذا أوحي إلىٰ صاحبكم؟ أي محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، قال: أوحي إليه سورةٌ وجيزةٌ بليغةٌ، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر].

فأخذ قليلًا ثمَّ قال: أنا أوحي إليَّ مثلها، ثمَّ قال: (يا وبر يا وبر، إنَّما أنت أذنان وصدرٌ، وباقيك حفرٌ ونقرٌ)، ثمَّ قال: يا عمرو ما رأيك؟ الَّذي يوحىٰ إليه وهو صادقٌ لا يسأل النَّاس ما رأيهم فيه؛ لأنَّه لا يكون فيه شكٌّ ممَّا أوحي إليه حتَّىٰ يسأل النَّاس عن رأيهم في الوحي الَّذي أُنزل إليه، فقال: ما رأيك يا عمرو؟ قال: والله إنَّك تعلم أنِّي أعلم أنَّك كاذبٌ، المسألة لا تحتاج إلىٰ رأيٍ.

ولهٰذا ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جاءه رجلٌ وقال: إنَّ مسيلمة البارحة ادَّعىٰ أنَّه يوحىٰ إليه، قال ابن عبَّاسٍ: صدق، فاستراب الرَّجل، فتلا ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾[الأنعام:١٢١]، قال: صدق يوحىٰ إليه، يعني الشَّيطان يوحي إليه.

ثمَّ هٰذا الكذَّاب المفتري الَّذي جاء بكلامٍ تمجُّه أسماع أهل الأوثان مع كلامه الباطل العاطل الفاسد، تبعه خلقٌ لا يعلم عددهم إلَّا الله، ولمَّا تلاقىٰ صفُّ المسلمين وصفُّ الكفَّار أتباع مسيلمة الكذَّاب، كان

عدد أتباع مسيلمة أربعين ألفًا والمسلمين الَّذين جاؤوا لمقاتلتهم عشرة آلافٍ.

وهٰذا تعرف به أنَّ النَّاس والجُهَّال أيُّ دعوةٍ تُفتَعل تؤثِّر فيهم بسرعةٍ إلَّا من حماه الله جلَّ وعلا، وإلَّا العوامُّ كلُّ صوتٍ يُدوِّي في منطقتهم ويكون له أنصارٌ يؤثِّر فيهم، العوامُّ يتأثَّرون بسرعةٍ بأي دعوةٍ أيًّا كانت؛ لأنَّهم في جهلٍ مُطبقٍ وفي جهلٍ مُخيِّمٍ، فإذا جاءهم كلامٌ تظاهر به صاحبه بالحقِّ أو الخير أو الدَّعوة إلىٰ.. صدَّقوه واتَّبعوه.

فأخبر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنَّه يخرج ثلاثون كذَّابون كلُّهم يدَّعي أنَّه نبيٌّ، وهٰذا العدد المراد به فيمن يخرج وتكون له شوكةٌ، أمَّا الَّذي يدَّعي النُّبوَّة أكثر من هٰذا العدد بكثيرٍ، لٰكنَّ الَّذين تكون لهم شوكةٌ ويكون لهم ظهورٌ ويكون لهم أتباعٌ واشتهارٌ عددهم ثلاثون كما أخبر عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وإلَّا عبر التَّاريخ ناسٌ كثيرٌ يمرضون وتتلف عقولهم، بعضهم يتلف عقله من المخدِّرات ويصبح مجنونًا ويقول: أنا نبيٌّ، فهٰذا كثيرٌ جدًّا أصحاب العقول التَّالفة والمختلَّة ويدَّعي النُّبوَّة ويدَّعي غير ذلك، ولكنَّ الكلام المقصودُ به من يكون له شوكةٌ ويكون له ظهورٌ، قال: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي**».

قال: (وَأَفْضَلُهُمْ) فنبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أفضل النَّبيِّين وخير وسيِّد ولد آدم أجمعين، قد صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال في الحديث: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**».

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النَّحل:٣٦].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟) يعني هل بين نوح ومحمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رسلٌ؟ (فَقُلْ: نَعَمْ) والآية الَّتي مرَّت معنا ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النِّساء:١٦٣]، فبين نوحٍ ومحمَّدٍ ﷺ رُسلٌ، قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النَّحل:٣٦]) وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[فاطر]، قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فيه دليلٌ أنَّ الأنبياء دعوتُهم واحدةٌ، عقيدتهم واحدةٌ ودينهم واحدٌ، كلُّهم دعاةٌ إلىٰ توحيد الله وإلىٰ الإيمان به وإلىٰ الإيمان بكلِّ ما يأمر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالإيمان به.

فالأنبياء عقيدتهم وأصولهم ودينهم واحدٌ، كما جاء في الحديث عن نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنَّه قال: «**نَحْنُ الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ وَأُمَّهَاتُنَا شَتَّىٰ**»، أي عقيدتنا واحدةٌ، وقوله: وأمَّهاتنا شتَّىٰ أي شرائعنا مختلفةٌ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨]، فالشَّريعة قد تختلف من نبيٍّ إلىٰ آخر، أمَّا العقيدة والإيمان والتَّوحيد والأصول واحدةٌ متَّفقٌ عليها بين جميع النَّبيِّين.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء:١].

هنا ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ سؤالين في غاية الأهمِّيَّة، وأراد رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر هذين السُّؤالين التَّحذير من الوقوع في الغلوِّ الَّذي أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّه أهلك الأمم الَّتي قبلنا، قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»، وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[النِّساء:١٧١]، الغلوُّ هلكةٌ وشرٌّ علىٰ الإنسان.

رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ طرح هاتين المسألتين تحذيرًا من الغلوِّ، وكلُّ مسألةٍ من هاتين المسألتين لها مغزًىٰ ينبغي أن يُتنبَّه لها قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟) أي الأولىٰ، والثَّانية: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟) فكلُّ سؤالٍ من هذين السُّؤالين له مغزًىٰ، ويجب علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يدرك هاتين الحقيقتين: أنَّ محمَّدًا ﷺ بشرٌ وأنَّه ﷺ عبدٌ، والمصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر من القرآن الدَّليل علىٰ أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشرٌ والدَّليل علىٰ أنَّه ﷺ عبدٌ.

قال: (إِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ) أي: نعم هو بشرٌ من ولد آدم، أبوه عبد الله وأمُّه آمنة، فهو بشرٌ ونسبه مرَّ معنا صلوات الله وسلامه عليه فهو بشرٌ، والدَّليل قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف:١١٠]، فهو بشرٌ مثل البشر يأكل ويشرب ويطعم وحاله كحال البشر، أبوه آدم وآدم من تراب، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشرٌ (﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]).

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ) عبدٌ من عباد لله يعبد الله، عبدٌ ذليلٌ فقيرٌ إلىٰ الله، يعبد الله يركع ويسجد ويذلُّ لله ويخضع، طلبته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليلةً فوقعت يدها علىٰ قدمه وهو ساجدٌ لله ويقول في سجوده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»، فهو عبدٌ لله جلَّ وعلا، بل هو أكمل عباد الله وأعظمهم طاعةً وتقوىٰ وخشيةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: (فَقُلْ: نَعَمْ) أي نعم هو عبدٌ، (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء:١])، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكره بصفة العبوديَّة في مقاماتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[الفرقان:١]، فذكره بوصف العبوديَّة في مواضع عديدةٍ من القرآن الكريم، وقد قال في الحديث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

أشرت إلىٰ أنَّ طرحه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لهذين السُّؤالين له مغزًىٰ، إذا قيل لك: هل هو بشرٌ وإذا قيل لك: هل هو عبدٌ، هٰذا الكلام له مغزًىٰ ينبغي أن نتفطَّن له.

* أمَّا قوله: هل هو بشرٌ، إذا قيل لك: هل هو بشرٌ، فمغزىٰ هٰذا السُّؤال لكي لا يُعطىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شيئًا من خصائص الله، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشرٌ فلا يُعطىٰ شيئًا من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا يُرفع فوق مقام البشريَّة إلىٰ مقام الرُّبوبيَّة، فلا يُعطىٰ من خصائص الله في الخلق والتَّدبير والعطاء والمنع والتَّصرُّف وإحاطة العلم.

سمع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امرأةً تقول: (وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ)، فغضب وقال: «**لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ**»، فهو بشرٌ ما يُعطىٰ شيئًا من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هٰذا مغزىٰ السُّؤال الأوَّل.

* والسُّؤال الثَّاني إذا قيل لك: هل هو عبدٌ، له مغزًىٰ، ومغزىٰ هٰذا السُّؤال أن لا يُعطىٰ شيئًا من حقوق الله وهي العبادة، فهو عبدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والعبد لا يُعبَد.

العبادة إنَّما تُصرف للرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تُصرف لله جلَّ وعلا، فإذا قيل لك: هل هو عبدٌ فقل: نعم عبدٌ والعبد لا يُعبَد، العبادة ليست للعباد، العبادة لربِّ العباد وربِّ العالمين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾[الأعراف:١٩٤]، يعني كيف تدعونهم وهم عبادٌ مثلكم، ولهٰذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»، قال الله تعالىٰ لنبيِّه في القرآن: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[آل عمران:١٢٨]، وقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبنته فاطمة: «**يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».

الأمر لله وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عبدٌ لا يملك لأحدٍ هدايةً، ولا يملك لأحدٍ نجاةً من النَّار، ولا يملك لأحدٍ دخولًا إلىٰ الجنَّة، لا يملك ذلك ولو حرص عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الله قال في القرآن: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾[يوسف]، حرص عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يهتدي عمَّه واجتهد وسعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هداية عمِّه ومات عمُّه علىٰ غير الإسلام، مات عمُّه وهو يقول: هو علىٰ ملَّة عبد المطَّلب، وحزن النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ ذلك فأنزل الله له تسليةً ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:٥٦]، فالهداية والنَّجاة والتَّوفيق والصَّلاح والرِّزق والنِّعمة والعافية إلىٰ آخره هٰذا كلُّه بيد الله ولا يُطلَب إلَّا من الله ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾[النَّمل:٦٢]، ومع هٰذا ترىٰ في كثيرٍ من الجُهَّال إذا حصل له ضرَّاءُ أو مرضٌ أو احتاج أو أصابته مصيبةٌ أو نزلت به نازلةٌ يفزع إلىٰ غير الله ويفزع إلىٰ النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل بعضهم يقول في فزعه إلىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لم تأخذ بيدي من الَّذي يأخذ بيدي؟ إن لم تُنقذني من الَّذي ينقذني؟ إن لم تمدَّني من الَّذي يمدُّني ؟ هل هٰذا الكلام يقوله من يعي هٰذه الحقيقة؟! !

إذا قيل لك: هل هو بشرٌ؟ قل: نعم بشرٌ، إذا قيل لك: هو عبدٌ؟ فقل: نعم عبدٌ؛ لأنَّ الشَّيخ رحمة الله عليه يريد أن يرسِّخ في قلوب النَّاس عدم الغلوِّ، فهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عبد الله ورسوله، عبدٌ لا يُعبَد بل رسولٌ يُطاع ويُتبَّع، أمَّا العبادة حقٌّ لله جلَّ وعلا لا تُصرف لغيره ﷻ؛ بل بعض الزُّوَّار يأتي ومعه أوراقٌ مرسلةٌ إلىٰ النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اطَّلعت علىٰ بعضها، يطلبون منه ما لا يُطلَب إلَّا من الله، الله يقول في القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، فيبعثون أوراقًا من البلدان ويكتبون فيها: يا رسول الله أنا بحاجة كذا، وأنا بحاجة كذا، وبعضهم يفصِّل: يا رسول الله أختي فلانةٌ لا تنجب من سنواتٍ أعطها الولد، يا رسول الله أكرم بنتي بالزَّوج الصَّالح البرِّ التَّقيِّ، يا رسول الله أنا مريضٌ مُصابٌ بكذا اشفني، يا رسول الله أنا أريد بيتًا، ويا رسول الله ويا رسول الله.. طلباتٌ، هل هؤلاء عرفوا هٰذه الحقيقة أنَّه بشرٌ وأنه عبدٌ؟ لا والله، إذا قيل لك: هل هو بشرٌ؟ فقل: نعم، الدَّليل القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف:١١٠]، هو عبدٌ؟ قل: نعم، الدَّليل قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء:١].

والبشر لا يُعطىٰ من خصائص الله، والبشر والعبد لا يُعبَد، العبادة حقٌّ لله ﷻ، أحد هؤلاء الَّذين كتب قال في آخر المكتوب قال: في حالة رغبتك في إجابة طلبي عنواني المكان الفلانيُّ: بلد كذا في المكان الفلانيِّ شارع كذا، هٰذه عقولٌ ضائعةٌ، عقولٌ تاهت في الضَّلال، ومن وراء هٰذا الضَّياع أئمَّة سوءٍ ودعاة ضلالٍ قال عنهم عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**».

فمثل هٰذا الأمر قصد الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ طرحه وبيانه حتَّىٰ لا يقع النَّاس في الغلوِّ، إذا قيل لك: هو بشرٌ؟ قل: نعم، وإذا قيل لك: هو عبدٌ؟ قل: نعم، والبشر لا يُعطىٰ من خصائص الله، والعبد لا يُعبَد، العبادة ليست للعباد، العبادة لربِّ العباد، العبادة حقٌّ لله وحده، كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ علىٰ حماره وأردف معاذ بن جبل معه علىٰ الحمار ثمَّ التفت عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إلىٰ معاذٍ وقال: «**يَا مُعَاذُ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» قال معاذٌ: أفلا أبشِّر النَّاس؟ قال: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»، فالعبادة لربِّ العباد لربِّ العالمين حقٌّ لله ﷻ لا شركة لأحدٍ في ذلك.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمُرُهُ؟

فَقُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا، نُبِّئَ بِإِقْرَأْ وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَخَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»، فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ وَطَرَدُوهُ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة].

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وَوُلِدَ فِيهَا، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَبِهَا تُوُفِّيَ، وَدُفِنَ جِسْمُهُ وَبَقِيَ عِلْمُهُ، وَهُوَ نَبِيٌّ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ، بَلْ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ.

صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لعلَّنا لاحظنا ملاحظةً مهمَّةً في رسالة الشَّيخ وهي موجودةٌ في جميع رسائله رَحِمَهُ اللَّهُ، كلَّ ما يذكر شيئًا يذكر الآية من القرآن، مرَّ معنا: هل هو عبدٌ؟ نعم، الدَّليل..، هل هو بشرٌ؟ نعم...، الدَّليل، كلُّ شيءٍ يذكره معه آيةٌ من القرآن الكريم واضحةٌ وصريحةٌ في المقصود.

ونقف الآن وقفةً نرجع للرِّسالة، كلُّ واحدٍ يتأمَّل فيها كم آيةً استدلَّ بها الشَّيخ في هٰذه الرِّسالة المختصرة، قرابة ثلاثين آيةً في ورقةٍ واحدةٍ، كلُّ شيءٍ يذكره قال الله تعالىٰ قال الله تعالىٰ، وهٰذا ننتبه له؛ لأنَّه سيأتي حديثٌ حول هٰذا الموضوع فليكن منَّا علىٰ بالٍ عناية الشَّيخ رحمة الله عليه في مصنَّفاته عمومًا بالقرآن وبالدَّليل من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا يأتي بشيءٍ من قِبل نفسه، بل يأتي بالحكم مضمومًا إليه دليله من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمُرُهُ؟) وهٰذا فيه التَّنبيه علىٰ أهمِّيَّة العناية بالسِّيرة سيرة النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودراسة سيرته، وأنَّ هٰذا باب من أعظم أبواب الخير والرِّفعة؛ لأنَّ حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حياة القدوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١]، قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمُرُهُ؟ فَقُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً) أي عمره في هٰذه الحياة الدُّنيا ثلاثٌ وستُّون سنةً، وهٰذا أيضًا فيه تأكيدٌ للمعنىٰ السَّابق وتنبيهٌ عليه وهو أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشرٌ، ومدَّته في هٰذه الحياة الدُّنيا نظير غيره من البشر، كلُّ واحدٍ له مدَّةٌ محدَّدةٌ فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وُلِد من أمٍّ وأبٍ وعاش ثلاثًا وستِّين سنةً، ثمَّ توفَّاه ربُّه جلَّ وعلا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزُّمر:].

لمَّا مات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وانتهت مدَّة حياته في هٰذه الحياة الدُّنيا وكان ميِّتًا ﷺ بين أصحابه، قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبًا وقال كلمته المشهودة المشهورة المعروفة، قال: **من كان يعبد محمَّدًا فإنَّ محمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت**، الله جلَّ وعلا في القرآن قال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول في دعائه كما في «الصَّحيحين»: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، فَأَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**».

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

فهٰذا نستفيد منه فائدةً أنَّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بشرٌ وُلد من أبوين وعاش من العمر ثلاثًا وستِّين سنةً ثمَّ مات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الزُّمر]، ومن قال: إنَّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لم يمت، فمعنىٰ ذلك أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دفنوا نبيَّهم وهو حيٌّ لم يمت، وهٰذا لا يقوله إلَّا ضالٌّ، النَّبيُّ ﷺ مات وغُسِّل وصلَّوا عليه ودُفن صلوات الله وسلامه عليه، وهو حيٌّ في قبره حياةً برزخيَّةً تختلف عن الحياة الدُّنيويَّة، أمَّا باعتبار الحياة الدُّنيا مات، والقرآن صريح في ذلك ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

من أراد أن يعبد فالعبادة لمن؟ للحيِّ الَّذي لا يموت، أمَّا الحيُّ الَّذي يموت والحيُّ الَّذي قد مات والجماد الَّذي لا حياة له، كلُّ هؤلاء ليس لهم في العبادة أيُّ أحقِّيَّةٍ، العبادة حقٌّ للحيِّ الَّذي لا يموت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]، العبادة لله ﷻ الحيِّ القيُّوم، فهٰذا يُستفاد منه في هٰذا الباب.

قال: (فَقُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ) أربعون سنةً من عمره عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لم يُنبَّأ فيها، لٰكنَّه كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ علىٰ الفطرة، ولهٰذا لم يُعرف عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فعل ما يفعله أهل الجاهليَّة، ولم يُعرف عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الاستقسام بالأزلام، ولهٰذا قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (من زعم أنَّ محمَّدًا ﷺ كان علىٰ دين قومه فقد أعظم علىٰ الله الفرية)، ما كان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يومًا علىٰ دين قومه، لم يستقسم بالأزلام ولم يقع فيما يقع فيه قومه من الضَّلال، حماه الله وبقي علىٰ الفطرة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[الرُّوم:٣٠]، فكان عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ علىٰ الفطرة لم يحصل له لا تغيُّرٌ ولا تبدُّلٌ صلوات الله وسلامه عليه، فأربعون سنةً قبل النُّبوَّة وثلاثٌ وعشرون سنةً نبيًّا ورسولًا صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا) قال: (نُبِّئَ بِإِقْرَأْ وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ) يعني: أوَّل ما بدأته النُّبوَّة ونزل عليه الوحي جاءه جبريل وهو يتحنَّث في الغار، وقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئٍ، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئٍ، قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[العلق]، هٰذا أوَّل ما نزل عليه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾، فهنا نُبِّئ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وأمَّا الإرسال بعثه للنَّاس ليدعو إلىٰ الله جلَّ وعلا فهٰذا بعد أن نزلت عليه سورة المدَّثِّر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [المدَّثِّر]، فقام يدعو إلىٰ الله ﷻ ويدعو إلىٰ دين الله ويمشي في طرقات مكَّة ويقول: «**قُولُوا: لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

قال: (وَخَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ) يعني بعد أن أنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، (خَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا») خرج إلىٰ النَّاس بالدَّعوة بالرِّسالة وأصبح يدعو إلىٰ الله ويُردِّد في طرقات مكَّة: «**قُولُوا: لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، ويغشاهم في أنديتهم وتجمُّعاتهم وأمكنتهم «**قُولُوا: لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، وأوذي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في سبيل الله أذًىٰ عظيمًا، وهو لا يزال ناصرًا لدين الله صادعًا بكلمة الله والدَّعوة إلىٰ (لا إله إلَّا الله) لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ وَطَرَدُوهُ)، هٰذا الَّذي حصل له من قومه، كانوا يعرفونه بالصَّادق وبالأمين

ويعرفونه بأحسن النَّاس خُلقًا، فلمَّا أعلن هٰذه الدَّعوة رموه بكلِّ فريةٍ واتَّهموه بكلِّ عظيمةٍ، قالوا: كاهنٌ وقالوا: ساحرٌ وقالوا: مجنونٌ، وكلُّ من يدخل مكَّة من الغُرباء يسمع هٰذه الدِّعاية المكثَّفة ضدَّه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، كلُّ من يدخل من الغرباء يسمع هذه الدِّعاية في الشَّوارع والطُّرقات، كلُّ ذلك صدًّا للنَّاس عن قبول دعوته.

ومن القَصص المفيدة في هٰذا الباب قصَّة ضمام الأسديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي في «صحيح مسلم» وكان سيِّدًا في قومه، يقول: (دخلت مكَّة فكنت كلَّ ما أمرُّ بأناسٍ يقولون: محمَّدٌ مجنونٌ)، استقرَّ في قلبه أنَّه رجلٌ مجنونٌ من الدِّعايات، فقلت في نفسي: (إنَّني رجلٌ راقٍ) أرقي النَّاس معروفٌ بالرَّقية (وإنَّ الله شفىٰ علي يديَّ من شاء من عباده، لئن لقيت محمَّدًا لأقرأنَّ عليه)، يعني لأرقينَّه، لعلَّ الله يشفيه علىٰ يديَّ؛ لأنَّ كلَّ الدِّعايات حوله مجنونٌ، يقول: (فلقيت محمَّدًا ﷺ فقلت له: إنَّني رجلٌ راقٍ)، أنا رجلٌ معروفٌ بالرُّقية (والله شفا علىٰ يديَّ من شاء من عباده فهل لك أن أرقيك؟) تحبُّ أن أقرأ عليك، يعني لعلَّ الله يشفيك علىٰ يديَّ؛ لأنَّ الدِّعاية كلَّها حوله بأنَّه رجلٌ مجنونٌ، ومن يأتي من الغرباء ما يقربه ولا يأتي إليه، كيف يقرب رجلًا كلُّ النَّاس يصفونه بالجنون أو الكهانة أو السِّحر أو إلىٰ آخره.

لٰكن هٰذا ضمامٌ أتىٰ إليه رأفةً ورحمةً من أجل أن يرقيه لعلَّ الله يشفيه علىٰ يديه، يقول: (فقلت: هل لك أن أرقيك ؟ فقال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»)، قال ضمامٌ: (أعد عليَّ كلامك هٰذا)، يقول لرجلٍ مجنونٍ: أعد عليَّ الكلام، فأعاد النَّبيُّ ﷺ الكلام بتمامه مرَّةً ثانيةً، قال ضمامٌ: (لقد سمعت كلام المجانين وسمعت كلام السَّحرة وسمعت كلام الكهنة ما هٰذا من كلامهم وسمعت كلام الشُّعراء ما هٰذا من كلامهم، أعطني يدك أبايعك علىٰ الإسلام، قال: «**عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ**»، قال: عنِّي وعن قومي)، وأسلم وأسلم قومه.

فالشَّاهد أنَّه كان فيه دعايةٌ مكثَّفةٌ ضدَّ النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وضدَّ دعوته حتَّىٰ ينفر النَّاس منه، حتَّىٰ لا يسمع أحدٌ إلىٰ كلامه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[فصِّلت]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾[النَّحل:١٠١]، قالوا: ساحرٌ قالوا: كاهنٌ قالوا: مجنونٌ، دعاياتٌ مكثَّفةٌ من أجل الصَّدِّ عن دينه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قال المصنِّف: (فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ وَطَرَدُوهُ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ)، وبهذا نعلم أنَّ الدِّعايات الكاذبة والتُّهم المُغرِضة أسلوبٌ قديمٌ عند أئمَّة الضَّلال ودعاة الباطل للصَّدِّ عن الحقِّ والهدىٰ، ولهذا أتباع النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حقًّا وصدقًا ينالهم ما ناله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ من مثل هذه التُّهم.

ولهٰذا الإمام شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب لم يسلم من ذلك، اتُّهم بتهمٍ كثيرةٍ ودعاياتٍ بُثَّت ضدَّه في العالم وفي النَّاس كذبًا وزورًا، أمَّا الَّذي يقف علىٰ كبد الحقيقة وعين الصَّواب يرىٰ أنَّ الشَّيخ

رحمة الله عليه كلَّما يذكر شيئًا يقول: قال الله تعالىٰ، قال ﷺ، لا يأتي بشيءٍ من عنده، إذا قرأت كتب الطُّرقيَّة ومؤلَّفات أهل الكلام وأهل الضَّلال تجد أشياء جاؤوا بها من عند أنفسهم وبتجاربهم وبآرائهم، أشياء اخترعوها، واحدٌ يقول: أنا أقترح عليكم أن تفعلوا كذا لأنِّي رأيت في المنام كذا، أو يحكي لهم قصَّةً، أو يروي لهم تجربةً، أو يبني علىٰ خبرةٍ، أو.. إلىٰ آخره.

أمَّا الشَّيخ رحمة الله عليه ليس عنده شيءٌ من ذلك، يقول: افعلوا كذا قال الله تعالىٰ كذا، لا تفعلوا كذا قال الله تعالىٰ كذا، كلُّ رسائله مَبنيَّةٌ علىٰ الآيات والأحاديث، لم يأت بشيءٍ من عنده، لٰكنَّ الدِّعايات المُغرضة جعلت النَّاس ما يقرؤون شيئًا من كتبه بسبب الدِّعايات، وهٰذه الطَّريقة هي طريقةٌ قديمةٌ، الأنبياء وأتباع الأنبياء لا يزالون تُدار وتُحاك حولهم التُّهم والدِّعايات المُغرضة حتَّىٰ ينفر النَّاس منهم وينفضُّوا من حولهم ولا يقبلوا لهم قولًا ولا يسمعوا لهم كلامًا.

قال: (وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة]) وهٰذا الميزان العدل ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي في شكٍّ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾، تحدَّاهم الله جلَّ وعلا أن يأتوا بسورةٍ، وتحدَّاهم أن يأتوا بعشر سورٍ من مثله، وتحدَّاهم أن يأتوا بآيةٍ وعجزوا.

ومرَّ معنا محاولة مسيلمة وقول عمرو بن العاص: والله إنَّك تعلم أنِّي أعلم أنَّك كاذبٌ؛ لأنَّه كلامٌ ممجوجٌ وكلامٌ سخيفٌ، أمَّا كلام ربِّ العالمين فكلامٌ حقٌّ وكلامٌ بليغٌ وكلامٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كلامٌ متشابهٌ يؤيِّد بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعضٍ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء:٨٢].

قال: (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وَوُلِدَ فِيهَا) وُلد في مكَّة (وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَبِهَا تُوُفِّيَ)، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وُلد في مكَّة، بشرٌ ﷺ وُلد في مكَّة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بالمدينة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ توفِّي، ودُفن ﷺ فيها وقبره أوَّل قبرٍ ينشقُّ، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أوَّل من يقوم لربِّ العالمين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

(وَدُفِنَ جِسْمُهُ) أي في القبر، (وَبَقِيَ عِلْمُهُ) علمه والدِّين الَّذي يدعو إليه باقٍ ومحفوظٌ بحفظ الله ﷻ، ولا يزال لدينه أنصارٌ وأعوانٌ، قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ**» فدينه باقٍ، مات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودُفن جسمه أمَّا دينه باقٍ: **من كان يعبد محمَّدًا فإنَّ محمَّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت**، الدِّين باقٍ والدِّين قائمٌ ومحفوظٌ بحفظ الله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحجر].

قال: (وَهُوَ نَبِيٌّ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ) وهو نبيٌّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ و هو عبدٌ العبد لا يُعبَد (وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ) انتبه للأمرين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، عبدٌ نستفيد منها فائدةً أي أنَّه لا يُعبَد ورسولٌ نستفيد منها فائدةً وهي أنَّه يُطاع ولا يُكذَّب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾[النِّساء:٦٤]، ما قال وما أرسلنا من رسولٍ إلَّا ليُعبَد! ! لا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النِّساء :٨٠]، فهو عبدٌ لا يُعبَد بل رسولٌ يُطاع ويُتَّبع ولا يُكذَّب بل يُطاع ويُتَّبع، وأهدىٰ النَّاس سبيلًا وأقوم النَّاس قيلًا من كان من أتباع هـٰذا الرَّسول عَلَيۡهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّائرين علىٰ نهجه الملازمين لهديه البعيدين عن مُحدَثات الأمور.

ثمَّ ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هـٰذه الرِّسالة النَّافعة العظيمة المشتملة علىٰ هـٰذه الخلاصة المباركة في الأصول الثَّلاثة بالصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه، قال: (صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وجمع مع الصَّلاة عليه ﷺ الصَّلاة علىٰ الآل والأصحاب، وأيضًا الرِّسالة بدأها بذلك بالصَّلاة عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن الدِّعايات المغرضة الَّتي تُبثُّ حوله يقولون: يُبغض آل البيت، إنَّ محمَّد بن عبد الوهَّاب يُبغض آل البيت ويكره آل البيت، وينشرون ذلك في النَّاس حتَّىٰ لا يسمع النَّاس لمثل هذه الآيات والقرآن والحُجج والأدلَّة.

إذا قرأت سيرة محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأولاده تعرف حبَّه لآل البيت، وإذا قرأت كتبه ومؤلَّفاته تعرف حبَّه لآل البيت، الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُزق بعددٍ من الأولاد و(بنتٍ واحدةٍ!!)، ما أسماء أولاده؟ حتَّىٰ نعرف الدِّعاية والحقيقة، ما أسماء أولاده؟ أولاده عليٌّ، الحسين، الحسن، فاطمة، عبد الله، إبراهيم، هؤلاء كلُّهم أهل البيت، وواحدٌ فقط اسمه عبد العزيز، والدِّعاية الَّتي تُبَثُّ من أجل الصَّدِّ عن الحقِّ والهُدىٰ يقولون: لا يحبُّ آل البيت ويسبُّ آل البيت، هـٰذا الكلام قاله لي شخصٌ في إحدىٰ البلدان، قال: محمَّد بن عبد الوهَّاب يسبُّ أهل البيت، قلت: يسبُّ أهل البيت؟ قال: نعم، وذكر كلامًا آخر، وطالبته قلت: أعطني كتابًا له بهـٰذا الَّذي تقول، ثمَّ أخبرته بحقائق دُهش الرَّجل، وقال: يعني ما هو صحيحٌ؟ قلت: أنت الَّذي تسألني؟ أنت الآن تُخبر أنَّه يسبُّ أهل البيت، قلت: اتَّق الله أن تلقىٰ الله يوم القيامة وأنت خصمٌ لهـٰذا الإمام معروفٌ بإمامته وفضله وعلمه ومكانته ودعوته للحقِّ، ثمَّ تمشي أنت وأمثالك بمثل هـٰذه الدِّعاية الكاذبة تفتري علىٰ هـٰذا الإمام وترميه بالكذب والزُّور، ما تخاف الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فالشَّاهد أنَّ الدِّعايات الكاذبة كم فعلت في الصَّدِّ عن الحقِّ والهدىٰ، وهـٰذه الرِّسالة الَّتي بين أيدينا رسالةٌ مباركةٌ وعظيمةٌ جمعت الأصول الثَّلاثة، وكلُّ ما قرَّره رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها كلُّه بالدَّليل وقد عددنا قبل قليل الأدلَّة الَّتي ساقها في هـٰذه الرِّسالة الَّتي هي في ورقتين، فيها كم دليلًا من القرآن؟ قرابة الثَّلاثين دليلًا، وترىٰ في النَّاس الآن كتبٌ في العقائد ليس فيها آيةٌ واحدةٌ من القرآن، ثمَّ يُزعَم أنَّ أولئك هم الَّذين يحبُّون النَّبيَّ عَلَيۡهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، من الَّذي يحبُّه أكثر؟ فالإنسان إذا وزن الأمور بموازين العدل والإنصاف يتبيَّن له الحقُّ والهدىٰ.

ونتوجَّه إلىٰ الله جلَّ وعلا بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلا أن يوفِّقنا جميعًا لهداه، وأن يبلِّغنا رضاه، وأن يُصلح لنا شأننا كلَّه، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، وأن يُحيينا مسلمين، وأن يتوفَّانا مؤمنين، وأن يزيِّننا

بزينة الإيمان، وأن يجعلنا من عباده المتَّقين الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، أولئك الَّذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

ونسأل الله جلَّ وعلا أن يغفر للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولجميع علماء المسلمين، وأن يجزيهم عنَّا خير الجزاء، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غفورٌ رحيمٌ، والله أعلم وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبد الله ورسوله نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.